
حُسنُ التَفهُمِ
على
تعَلِيمِ المُتعَلِمِ طَرِيقَ التَعلُمِ
للشيخ العلامة
محمد بن أحمد عاموه
دار أبي حنيفة


حسن التفهم
على
تعليم المتعلم طريق التعلم

الطبعة الثالثة

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار أبي حنيفة

للنشر والتوزيع

اليمن - الحديدة

يطلب من

السيد عمار / ٧٣٤٥٩٧٨٩٦

لؤي الحنفي / ٧٧٧ ٠٢٤٣ ٢٠

e-mail: daroabihanifah@gmail.com

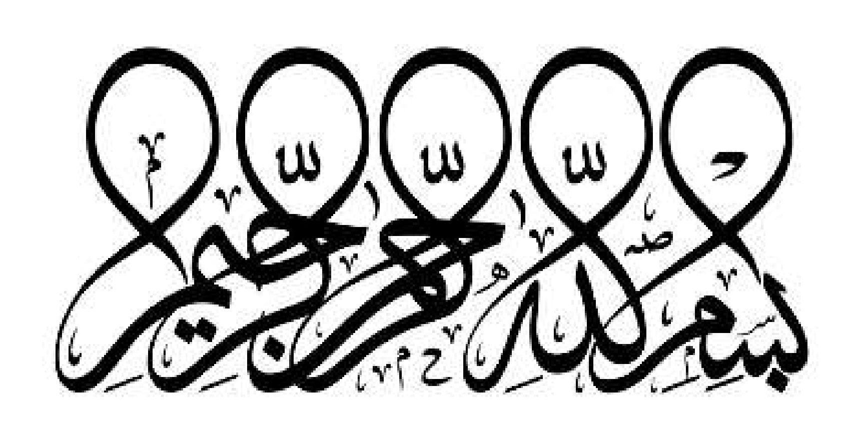


للشيخ العلامة

محمد بن أحمد عاموه

حفظه الله تعالى




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد...

فإن كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للإمام الكبير برهان الإسلام الزرنوجي الحنفي أحد علماء القرن السادس الهجري درة نفيسة في بابه اشتمل على نصائح ذهبيه وتوجيهات جوهرية تربوية لطلاب العلم وقد رزقه الله القبول فصار مقرراً دراسياً يتداوله طلاب العلم فكتبت عليه هذا التقرير الشريف والتعليق اللطيف حين اشتغالي بتدريسه وسميته عند التمام حسن التفهم على تعليم المتعلم طريق التعلم راجياً من الله عز وجل القبول بجاه سيدي النبي الرسول وآله وصحبه وأتباعه الفحول إن ربي أعظم مأمول وأكرم مسئول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ترجمة المؤلف

هو الإمام العلامة برهان الإسلام الزرنوجي نسبة إلى زرنوج بلدة مشهورة من بلاد ما وراء النهر.

تتلمذ على كبار علماء عصره منهم:

١- الإمام الكبير محرر المذهب النعماني برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني صاحب كتاب الهداية المشهور في الفقه الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣هـ.

٢- الإمام الكبير العمدة فخر الدين الحسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني المشهور بقاضي خان المتوفي ٥٩٢هـ.

٣- الإمام العلامة الكبير أبو المحاسن ركن الإسلام محمد بن أبي بكر بن المغني بن إبراهيم الشرغي المعروف بإمام زاده الجوغي نسبة إلى بلدة جوغ من بلاد سمرقند المتوفى في ٥٧٣هـ.

٤- الإمام العلامة الكبير حماد بن إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن إسحاق بن العلامة ركن الدين إبراهيم الصفار المتوفي بسمرقند سنة ٥٦٧هـ.

٥- الإمام الأديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر يوسف ركن الدين الفرغاني المتوفى ٥٩٤هـ.

٦- الإمام فخر الدين مسعود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو سعد الكاشاني السمرقندي المتوفى ٥٢٠هـ.

٧- العلامة الكبير أبو المحاسن الحسن بن علي المرغيناني رحمه الله.

٨- العلامة الكبير محمد بن محمود بن علي المشهور بسداد الدين الطرازي المتوفى بعد الستين وخمسمائة وهو من مشايخ صاحب الهداية .
كما أخذ المؤلف عن والده ونقل عنه في هذه الرسالة في موضعين

وفاته:

لم أقف على تاريخ وفاته فيما وقفت عليه من مصادر ترجمته ولكنه كان أحد أعيان القرن السادس الهجري.

لمحة عن الكتاب وأهميته

يعتبر كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للإمام الزرنوجي من أنفس الكتب في بابه وقد اشتهر جداً وانتشر انتشاراً واسعاً وترجم إلى لغات غير العربية كالتركية والفرنسية واللاتينية والإنجليزية وطبع طبعات متعددة وأقبل عليه أهل العلم قراءة ومطالعة ودرساً وتقرر في المقررات الدراسية في الكثير من الأربطة الشرعية والمراكز العلمية وانتفع به خلق كثير.

ولذلك كثرت مخطوطاته في العالم الإسلامي وزخرت به المكاتب الإسلامية واعتمده كثير من التربويين لاشتماله على طرق التدريس والتدرج في التعليم وما إلى ذلك من مسائل التربية التعليمية.

وقد جعله مصنفه من ثلاثة عشر فصلاً خلا المقدمة

الفصل الأول: في ماهية العلم والفقه وفضله.

الفصل الثاني: في النية في حالة التعلم.

الفصل الثالث: في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات.

الفصل الرابع: في تعظيم العلم وأهله.

الفصل الخامس: في الجد والمواظبة والهمة.

الفصل السادس: في بداية السبق وترتيبه وقدره.

الفصل السابع: في التوكل.

الفصل الثامن: في وقت التحصيل.

الفصل التاسع: في الشفقة والنصيحة.

الفصل العاشر: في الاستفادة واقتباس الأدب.
الفصل الحادي عشر: في الورع في حالة التعلم.
الفصل الثاني عشر: فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان.
الفصل الثالث عشر: فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقصه.

وقد وقفت على شرحين لهذا الكتاب طبعا معاً طبعة عثمانية سنة١٣٢١هـ الأول تفهيم المتعلم للعلامة إسماعيل بن عثمان بن بكر بن يوسف المفتي الأول في عثمان بازاري والثاني لأحد أفاضل الروم لم أقف على اسمه جعله تحفة للسلطان مراد خان بن سليم خان وقد استفدت منهما في تقريري هذا ، ثم رأيت في كشف الظنون أن الشرح الثاني لابن إسماعيل وأنه فرغ من تأليفه سنة ٩٩٦هـ .

واعلم أن ثناء العلماء على كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم كثير أذكر منه طرفاً فمن ذلك قول الحافظ عبد القادر القرشي الحنفي توفي ٧٧٥هـ في الجواهر المضية: هو نفيس مفيد يشتمل على فصول نحواً من ثلاثة كراريس وهو عزيز في بلادنا حصلته بحمد الله.

وقال الإمام الكفوي في أعلام الأخيار: هو كتاب نفيس مفيد مشتمل على فصول قليل الحجم كثير المنافع.

وقال الحافظ عبد الحي اللكنوي رحمه الله في الفوائد البهية: قد طالعت تعليم المتعلم وهو كما قال الكفوي نفيس مفيد.
وقال حاجي خليفة في كشف الظنون: هو نفيس جداً.

[illegible]

[illegible] (١٨٧١:...) [illegible]

[illegible]

[illegible] (٨) [illegible]

[illegible] (١) [illegible]

---

(٨) [illegible] (٨) [illegible]

[illegible] (١) [illegible]

ومن التعظيم الواجب أن يجود كتابة الكتاب ولا يقرمط(١) ويترك الحاشية(٢) إلا عند الضرورة(٣) ورأى أبو حنيفة رحمه الله تعالى كاتباً يقرمط في الكتابة فقال له لا تقرمط خطك إن عشت تندم وإن مت تشتم(٤) يعني إذا شخت وضعف نور بصرك ندمت على ذلك وحكي عن الشيخ الإمام مجد الدين السرخكتي(٥) أنه قال ما قرمطنا إلا ندمنا وما انتخبنا(٦) إلا ندمنا وما لم نقابل(٧) إلا ندمنا.

---

(١) **القرمطة في الخط**: دقة الكتابة وتداني الحروف....وقرمط الكاتب إذا قارب بين كتابته ا.هـ ملخصاً من اللسان.

وقد صرح أصحابنا الحنفية بكراهة ذلك تحريماً في كتابة المصحف الشريف لمنافاته التعظيم الواجب.

(٢) التي تكتب أطراف السطور وأثنائها ويقرمط فيها عادة لأن السطور تختلط بها والأطراف تقطع حين التجليد فتضيع.

(٣) بشرط أن لا تختلط السطور وأن لا يقرمط وان يراعي أطراف الكتاب موضع التجليد.

(٤) مبني للمجهول يعني يشتمك من يريد القراءة منه لدقة خطه فيعصي الشاتم فيكون الكاتب سبباً في ذلك.

(٥) **هو الإمام** محمد بن عبد الله بن فاعل أبو بكر السرخكتي قال السمعاني كانت له يد قوية في النظر توفي واحد الحجة ٥١٨هـ.

(٦) أي اختصرناه اختصاراً مخلاً وتركنا تفصيله لأن المرء إذا لم يفصل ما تعمق النظر فيه ربما ينساه ويحتاج إلى تكرار التعمق فيندم على عدم قيده على وجهه التام.

(٧) أي نصححه.

وأكد المؤلف معنى الافتقار إلى الله عز وجل بقوله (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) أي لا تحول عن معصية الله إلا بالله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله العلي الأعلى المرتفع الرتبة المنزه عما لا يليق بجلاله وجماله وكماله العظيم ذي العظمة والكبرياء.

والحوقلة كنز من كنوز الجنة ينبغي للمرء أن يكثر منها ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة.

(٣) (وبالله التوفيق) أي وبالله وحده لا شريك له.

التوفيق وهو لغة: التسديد **واصطلاحاً:** كما عرفه السيد هو جعل الله فعل العبد موافقاً لما يحبه ويرضاه ا.هـ.

ولعزته ذكره الله في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (هود: ٨٨).

الحمد لله(١) الذي فضل بني آدم(٢) بالعلم(٣) والعمل(٤) على جميع العالم(٥) والصلاة(٦) والسلام على محمد(٧) سيد العرب(٨) والعجم وعلى آله(٩) وأصحابه ينابيع العلوم والحكم(١٠)

---

(١) **(الحمد لله) الحمد:** هو الوصف بالجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل.

وقد جاء في فضل الحمد أحاديث كثيرة منها:

أ- **عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) أخرجه الترمذي وقال حسن غريب.

ب- **روى ابن ماجه بإسناد حسن كما قال البوصيري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ قال القرطبي رحمه الله معناه لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى.

ت- **أخرج أحمد والنسائي عن الأسود بن سريع قال:** قلت يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال صلى الله عليه وسلم أما أن ربك يحب الحمد، واختار الجملة الإسمية اقتداء بالكتاب العزيز ولأنها تفيد الدوام والاستمرار .

والله اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الإلهية وهو وجه الاختيار على سائرها وهو عند أبي حنيفة والخليل وابن كيسان غير مشتق وهو الأصح.

(٢) (الذي فضل بني آدم) وصفه بهذا الوصف لقوله تعالى في حقهم ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠).

(٣) (بالعلم) العلم في اللغة: يطلق على المعرفة والشعور والإتقان واليقين يقال علمت الشيء أعلمه علماً عرفته ويقال ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت ويقال علم الأمر وتعلمه أتقنه.

واصطلاحاً: هو حصول صورة الشيء في العقل واختار العضد الإيجي بأنه صفة توجب لمحلها تمييزاً بين المعاني لا يحتمل النقيض.

وقال الكفوي في الكليات: المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك ولهذا المعنى متعلق وهو المعلوم وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة فأطلق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجازاً مشهوراً ا.هـ.

(٤) (والعمل) هو استعمال الجوارح فيما يرضي به الله عز وجل بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وعطف العمل على العلم لأن كلاً منهما لا ينفع بدون الآخر.

(٥) (على جميع العالم) قيل العالم: اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين.

وقال المتكلمون العالم: اسم لكل موجود يعلم به الخالق سواء كان من ذوي العلم أولا يقال عالم الملك وعالم الإنس وعالم الجن وعالم الأفلاك وعالم النبات وهكذا.

قال وهب بن منبه: إن لله تعالىٰ ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها سمي به لكونه علامة علىٰ وجود الصانع وهو في الأصل عَلَم زِيد الألف للإشباع.

(٦) **(والصلاة)** هي من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن العباد الدعاء.

(٧) **(على محمد)** أي كائناً أو ليكن عليه ومحمد أفضل أسماء نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة في الأرض والسماء وفي الصحاح التحميد أبلغ من الحمد والمحمد الذي كثرت خصاله المحمودة.

(٨) **(سيد العرب)** بالفتح والضم اسم جنس وكذا العجم والمراد من العجم غير العرب كائنا من كان وسيادة النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ العالمين معلومة من الدين بالضرورة يكفر منكرها كما نص علىٰ ذلك الحافظ الذهبي رحمه الله.

(٩) **(وعلى آله) آل النبي من جهة النسب:** أولاد علي وعباس وجعفر وعقيل وحارث بن عبد المطلب.

ومن جهة السبب: كل مؤمن وقيل كل مؤمن تقي.

وأصحابه: جمع صاحب وهو كل من صحب النبي صلىٰ الله عليه وسلم وشرف بشرف رؤية جماله صلىٰ الله عليه وسلم.

(١٠) **(ينابيع العلوم) الينابيع**: جمع ينبوع وهو فرجة من الأرض يدوم خروج الماء منها.

وينابيع: خبر مبتدأ محذوف تقديره هم أي مظاهر العلوم شبه الأصحاب بالينابيع ثم استعيرت لهم فالإضافة حقيقية والحكم عطف علىٰ العلوم عطف خاص علىٰ عام لأنها جمع حكمة وهي العلم بالأشياء علىٰ ما هي عليه.

وبعد:

فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زمننا يجدون(١) إلى العلم ولا يصلون(٢) ومن منافعه وثمراته(٣) وهي العمل به والنشر يحرمون(٤) لما أنهم أخطأوا طريقه وتركوا شرائطه وكل من أخطأ الطريق ضلّ فلا ينال المقصود قل أو جل(٥) فأردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم على ما رأيت في الكتب وسمعت من أساتيذي(٦) أولي العلم والحكم رجاء(٧) الدعاء لي من الراغبين فيه(٨) والمخلصين(٩)بالفوز والخلاص في يوم الدين بعد ما استخرت الله تعالى فيه وسميته كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم.

---

(١) **يجِدون**: بكسر الجيم من الجد وهو السعي أو من الإجداد وهو السعي أيضا يقال جد في الأمر وأجد فيه يجد إجداداً.

(٢) لا يصلون من الوصل والمصنف ذكر سبب ذلك كما سيأتي.

(٣) الضميران راجعان للعلم.

(٤) وهي أي كل واحد من المنافع والثمرات العلم به أي بالعلم وهذا من المنافع والنشر أي نشر مسائله بالتعليم وهذا من الثمرات يحرمون والعياذ بالله من الحرمان.

(٥) لما بين المصنف رحمه الله أن طلبة زمانه مع جدهم في تحصيل العلم لم يصلوا إلى مقصوده بل حرموا منافعه وثمراته بين سبب ذلك وهو:

١ – أخطأوا طرائق تحصيل العلم.

٢- تركوا شرائط التحصيل التي ستذكر في هذا الكتاب وكل من أخطأ الطريق الذي يوصل الطالب إلى المطلوب.

ضل: أي يصير واقعاً في الضلالة ولا ينال المقصود، قل أو جل صغر ذلك المقصود أو عظم.

(٦) جمع أستاذ مضاف إلى ياء المتكلم والأستاذ من له علم وتعليم وقد يطلق على من له صنعة ولهذا وصفها بقوله أولي العلم والحكم.
(٧) رجاء بمعنى راجياً حال من فاعل أبين.
(٨) فيه أي في العلم.
(٩) بفتح اللام صفة الراغبين يعني المطهرين وبكسر اللام من الإخلاص ضد الرياء.

وجعلته فصولاً:

الفصل الأول: في ماهية العلم والفقه وفضله.

الفصل الثاني: في النية في حالة التعلم.

الفصل الثالث: في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات.

الفصل الرابع: في تعظيم العلم وأهله.

الفصل الخامس: في الجد والمواظبة والهمة.

الفصل السادس: في بداية السبق وترتيبه وقدره.

الفصل السابع: في التوكل.

الفصل الثامن: في وقت التحصيل.

الفصل التاسع: في الشفقة والنصيحة.

الفصل العاشر: في الاستفادة واقتباس الأدب.

الفصل الحادي عشر: في الورع في حالة التعلم.

الفصل الثاني عشر: فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان.

الفصل الثالث عشر: فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الفصل الأول
في ماهية العلم وفضله والفقه وفضله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة(١)

---

(١) **كلمة مسلمة**: ليس لها ذكر في شيء من طرق الحديث كما نص على ذلك ملا علي القاري في شرح المشكاة فلفظ الحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم وهذا الحديث أخرجه الحافظ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي ت ٥٢٢هـ بسنده إلى أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي قال حدثنا أبو حنيفة النعمان بن ثابت قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم.

وأخرجه الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد الحارثي البخاري بسنده إلى أبي عاصم النبيل قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن انس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

وروى بسنده إلى حماد بن زيد قال: حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال ما سمعت من أنس بن مالك إلاّ حديثاً واحداً سمعته

يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

وفي ترتيب مسند الحصكفي للمحدث محمد عابد السندي رواية أبو حنيفة هذا الحديث عن حماد عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

ورواية أبي حنيفة رضي الله عنه عن ناصح عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

وأخرج الحديث ابن ماجه عن أنس والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن مسعود وفي الأوسط أيضا عن أبي سعيد وفي الصغير عن الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وذكر الشيخ ملا علي القاري: أن الطبراني أخرجه عن ابن عباس وأخرجه تمام عن ابن عمر وأخرجه الخطيب عن علي وقال الديلمي في مسند الفردوس وروي أيضاً من حديث أبي بن كعب وحذيفة وسلمان وسمرة بن جندب ومعاوية بن حيدة وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة بنت الصديق وعائشة بنت قدامة وأم هانئ ا.هـ.

قال الحافظ السيوطي رحمه الله: جمعت له أي لحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره ولم أصحح حديثا لم أسبق لتصحيحه سواه وقال الحافظ المزي هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن اهـ قاله الزركشي في اللآلئ والله أعلم.

اعلم(١) بأنه(٢) لا يفترض(٣) على كل مسلم طلب كل علم وإنما يفترض عليه(٤) طلب علم الحال(٥) كما يقال أفضل العلم علم الحال وأفضل العمل حفظ الحال ويفترض على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله أي في أي حال كان(٦) فإنه لابد له من الصلاة فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة ويجب عليه بقدر ما يؤدي به الواجب لأن ما يتوصل به إلى إقامة الفرض يكون فرضا وما يتوسل به إلى إقامة الواجب يكون واجباً(٧) وكذلك في الصوم والزكاة إن كان له مال والحج إن وجب عليه وكذا في البيوع إن كان يتجر.

---

(١) هذا خطاب عام لمن شأنه أن يخاطب.

(٢) الضمير للشأن.

(٣) أي فرض عينياً.

(٤) عيناً.

(٥) هو علم أصل الدين ومن الفقه ما تصح به صلاته وطهارته وما شابه ذلك مما لا بد منه.

والمراد من الحال هاهنا الأمر العارض للإنسان من الكفر والإيمان والصلاة والزكاة والصوم وغيرها من الأحوال.

(٦) اعلم وفقك الله عز وجل لما يحب ويرضى أن **الحكم** التكليفي للتعلم يختلف تبعاً لفائدة العلم والحاجة إليه فمنه ما تعلمه فرض ومنه ما هو محرم والفرض منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية.

فمن العلوم التي تعلمها فرض عين: تعلم ما يحتاجه الإنسان من علم الفقه والعقيدة.

قال المحقق ابن عابدين في حاشيته العظيمة رد المحتار: من فرائض الإسلام تعلم ما يحتاج إليه العبد في إقامة دينه وإخلاص عمله لله تعالىٰ ومعاشرة عباده وفرض علىٰ كل مكلف ومكلفة بعد تعلمه علم الدين والهداية تعلم علم الوضوء والغسل والصلاة والصوم وعلم الزكاة لمن له نصاب والحج لمن وجب عليه والبيوع علىٰ التجار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات في سائر المعاملات وكذا أهل **الحرف** وكل من اشتغل بشيء يفرض عليه علمه وحكمه ليمتنع عن الحرام فيه.

وقال الإمام النووي رحمه الله:

من أقسام العلم الشرعي ما هو فرض عين وهو: تعلم المكلف ما لا يتأدىٰ الواجب الذي تعين عليه فعله إلا به ككيفية الوضوء والصلاة ونحوهما.

وأما أصل واجب الإسلام وما يتعلق بالعقائد فيكفي فيه التصديق بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واعتقاده اعتقاداً جازماً سليماً من كل شك ولا يتعين على من حصل له هذا تعلم أدلة المتكلمين هذا هو الصحيح الذي أطبق عليه السلف والفقهاء والمحققون من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطالب أحداً بشيء سوى ما ذكرنا.

ولو تشكك في شيء من أصول العقائد مما لا بد من اعتقاده ولم يزل شكه إلا بتعلم دليل من أدلة المتكلمين وجب تعلم ذلك لإزالة الشك وتحصيل ذلك الأصل ولا يلزم الإنسان تعلم كيفية الوضوء والصلاة وشبهها إلا بعد وجوب ذلك الشيء وأما البيع والنكاح وشبههما مما لا يجب أصله فيحرم الإقدام عليه إلا بعد معرفة شرطه ا.هـ من المجموع.

٧- فالعلم بفرائض الصلاة يكون فرضاً والعلم بواجبات الصلاة يكون واجباً.

قيل لمحمد بن الحسن رحمه الله ألاَّ تصنف كتاباً في الزهد(١) قال قد صنفت كتاباً في البيوع يعني(٢) الزاهد هو من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات وكذلك في سائر المعاملات والحرف وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه وكذلك يفترض عليه علم أحوال القلب(٣) من التوكل والإنابة والخشية والرضا فإنه واقع في جميع الأحوال.

---

(١) ألاَّ بالتشديد كلمة تحضيض ومعناه إذا دخلت على الماضي: التوبيخ واللوم على ترك الفعل.

ومعناها في المضارع: الحث على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الأمر.

والمعنى أن بعض تلاميذ الإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله ورضي عنه خاطبوه بقولهم ألاّ تصنف كتاباً في الزهد محرضين إياه على تصنيف كتاب في الزهد وفي بعض النسخ لم لا تصنف كتاباً فحينئذ يكون استفهاماً عن علة عدم تصنيفه.

قال الإمام محمد رحمه الله مجيباً على طلابه: قد صنفت كتاباً في البيوع.

(٢) هذا من كلام المصنف يفسر به كلام الإمام محمد رحمه الله وإنما فسر المصنف رحمه الله كلام الإمام محمد رحمه الله لأن ظاهر كلامه لا يصلح جوابا لسؤال بعض تلاميذه له أن يصنف كتاباً في الزهد، لأن أحوال الزهد غير أحوال البيوع.

فالزهد: عبارة عن ترك الزينة والهوىٰ والدنيا فلا يناسب بيانها في كتاب البيوع فكان لا بد من تفسير كلامه رحمه الله ، لتظهر المناسبة بين السؤال والجواب.

(٣) **قال الإمام النووي رحمه الله علم القلب:** هو معرفة أمراض القلب كالحسد والعجب وشبههما.

فذهب الغزالي رحمه الله إلىٰ أن معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين.

وقال غيره: إن رزق المكلف قلباً سليماً من هذه الأمراض المحرمة كفاه ذلك ولا يلزمه تعلم دوائها.

وإن لم يسلم نظر إن تمكن من تطهير قلبه من ذلك بلا تعلم لزمه التطهير كما يلزمه ترك الزنا ونحوه من غير تعلم أدلة الترك.

وإن لم يتمكن من الترك إلا بتعلم العلم المذكور تعين حينئذ ا.هـ من المجموع.

وشرف العلم لا يخفى على أحد إذ هو المختص بالإنسانية لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والجراءة والقوة والجود والشفقة وغيرها سوى العلم(١) وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له(٢) وإنما شرف(٣) العلم لكونه وسيلة إلى البر والتقوى الذي يستحق به المرء الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية.

---

(١) شرف العلم ظاهر لا يخفى على أحد إذ العلم مختص بالإنسان تميز به عن سائر الحيوانات هكذا قرر المصنف ومراده أنّ الاعتناء بتحصيل العلم والحرص على التعلم من شأن الإنسان دون غيره من الحيوانات.

(٢) وبه أي بالعلم أظهر الله عز وجل فضل آدم على الملائكة عليهم السلام قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (البقرة.

فلما ظهر فضل آدم بالعلم أمرهم الله بالسجود له قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (البقرة).

والسجود في اللغة: الخضوع **وفي الشرع**: وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة.

وفي سجود الملائكة لآدم عليهم السلام رأيان:

- **الأول وهو الأرجح**: أنهم أمروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له واعترافاً بفضله وأداء لحق المعلم واعتذاراً لما وقع منهم في شأنه.
- **والثاني**: أنهم أمروا بالسجود لله عز وجل وإنما كان آدم عليه السلام قبلة لسجودهم تفخيماً لشأنه وسبباً لوجوبه.

(٣) ماض من باب حسن أو مصدر على وزن طلب يعني ما صار العلم أشرف وأفضل إلا لكونه وسيلة إلى البر والتقوى التي هي سبب الكرامة عند الله عز وجل قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

كما قيل(١) لمحمد بن الحسن رحمة الله عليه شعراً:

تعلم فإن العلم زين لأهله وفضل وعنوان لكل المحامد(٢)

وكن مستفيداً كل يوم زيادة من العلم واسبح في بحور الفوائد(٣)

تفقه فإن الفقه أفضل قائد إلى البر والتقوى وأعدل قاصد(٤)

هو العلم الهادي إلى سنن الهدى هو الحصن ينجي من جميع الشدائد(٥)

---

(١) هذا استدلال على كون العلم وسيلة إلى التقوى ومعنى كونه قيل لمحمد أي أنه خوطب به .

(٢) **العنوان**: العلامة **والمحامد**: جمع المحمدة وهي مصدر بمعنى المفعول أي العلم أفضل علامة لكل الخصال المحمودة المقبولة عند الله عز وجل والمقبولة عند الناس.

(٣) **مستفيدا**: خبر كن وزيادة مفعولا به لقوله مستفيدا.

اسبح: فعل أمر معطوف على كن من السبح وهو الذهاب على وجه الماء وقوله في بحور الفوائد من قبيل لجين الماء أي في فوائد كالبحار.

والمعنى: كن طالباً زيادة فائدة من العلم كل يوم وليلة واسبح سباحة الحوت في بحر المعاني والفوائد فإن خير الخلق صلى الله عليه

وسلم كان يقول في دعائه (ربِّ زدني علما) امتثالاً لأمر ربه الذي أمره بقوله عز وجل ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه).

والحال أنه صلى الله عليه وسلم عالم بعلم الأولين والآخرين فكيف تقنع أيها الطالب بما حصلته من العلم وهو في جنب علم رسول الله كالنقطة من البحر.

(٤) تفقه: أمر من باب التفعل أي كن ساعياً ومتكلفاً في تحصيل علم الفقه فإنه أفضل قائد أي افضل دليل يوصلك إلى البر والتقوى والفقه.

أعدل: قاصد والقصد العدل يعني أن علم الفقه أعدل جنس العادل لأنه علم يبين الشرائع والأحكام التي لا ظلم فيها قطعاً لأنها أحكام الله عز وجل المنزه قطعاً عن الظلم لعباده وما ربك بظلام للعبيد.

(٥) هو أي الفقه العلم الهادي إلى سنن بالفتح الطريق والهدى بمعنى الهداية وهي الدلالة بلطف إلى طريق يوصل إلى المطلوب.

يعني: أن علم الفقه هو الذي يدل الناس بلطف إلى طريق رضوان الله وجناب رحمته والستر بأستار لطفه ومغفرته ، وهو أي الفقه ايضا الحصن المنيع الذي ينجي طالبه ومتعلمه من جميع الشدائد التي من أعظمها الجهل بأوامر الله عز وجل ونواهيه.

فإن فقيهاً واحداً متورعاً أشد على الشيطان من ألف عابدٍ(١)

---

(١) فإن فقيهاً واحداً متورعاً عن الشبهات فضلاً عن المحرمات أشد خبر إنّ على الشيطان من ألف عابد غير فقيه.

وفي هذا إشارة إلى ما أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم وفي لفظ ابن ماجه فقيه واحد.

ومع ضعف سنده له شواهد منها حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع) أخرجه الطبراني في الأوسط والبزار في مسنده والحاكم في مستدركه وحسنه الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد والحافظ المنذري في الترغيب وفيه عبد الله بن عبد القدوس وثقه البخاري وابن حبان وضعفه ابن معين.

ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي إلا أن حمزة بن حبيب الزيات الإمام المقرئ من رجال مسلم فقط.

ومنها رواية ابن أبي شيبة في المصنف حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عمر بن قيس الملائي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضل العلم خير من فضل العبادة وملاك دينكم الورع) ورجاله ثقات إلا أن عمرو بن قيس من تابع التابعين توفي ١٤٧هـ ففي السند انقطاع فالرواية مع صحتها مرسلة.

والمعنى: أن نافلة العلم والاستزادة منه خير من نوافل العبادة والاستزادة منها وملاك الدين قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه.

فقد جاء في هذا المعنى أحاديث منها حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه) أخرجه الطبراني في الصغير بإسناد ضعيف.

وحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي) أخرجه الحارث بن أسامة في مسنده بإسناد ضعيف.

وروى ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) وإسناده ضعيف.

وفي مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حفر الجواد المضمر سبعين سنة) وإسناده ضعيف.

وأخرج ابن ماجه عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن تغدو فتعلم باباً من العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة) وإسناده ضعيف.

وعن مطرف بن الشخير: فضل العلم أفضل من فضل العبادة وخير دينكم الورع.

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها.

وفي جامع بيان العلم وعن الحسن البصري قال: العالم خير من الزاهد في الدنيا المجتهد في العبادة.

وفيه أيضاً عن سفيان الثوري: ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية وأخرجه الدارمي أيضاً عن سفيان.

وفي جامع بيان العلم عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال: عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وفي جامع بيان العلم لابن عبد البر رحمه الله عن الإمام جعفر بن محمد رضي الله عنهما أنه قال: رواية الحديث وبثه في الناس أفضل من عبادة ألف عابد و إنما كان بقاء فقيه واحد وحياته أشد وأبغض على الشيطان من بقاء ألف عابد لأن الفقيه عدو الشيطان.

لأن الشيطان يأمر الناس بالفسق والكفر والسبيل المائل عن الحق والفقيه يأمرهم بالإيمان والطاعة ويدعوهم عن سبيل الشيطان إلى سبيل الرحمن ولا يحصل من العابد شيء من هذه الأحوال إذا كان غير عالم بل يعبد الله على غير بصير ولم يرد بالألف في الحديث العدد المعين بل الكثرة.

وذكر السندي في كفاية الحاجة شرح ابن ماجه في توجيه كون الفقيه الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد بقوله: وذلك أن غاية همة العابد أن يخلص نفسه من مكائد الشيطان وقد لا يقدر عليه فيدركه الشيطان من حيث لا يدري بخلاف الفقيه فقد يخلص الله تعالى على يديه العباد من مكائد الشيطان والله أعلم.

والعلم وسيلة إلى معرفة التكبر والتواضع والألفة والعفة والتقتير والإسراف وكذلك في سائر الأخلاق نحو الجود والبخل والجبن والجرأة فإن الكبر والبخل والجبن والإسراف حرام ولا يمكن التحرز عنها إلا بعلمها وعلم ما يضادها فيفترض على كل مسلم علمها وقد صنف السيد الإمام الأجل الأستاذ الشهيد ناصر الدين أبو القاسم السمرقندي(١) كتاباً في الأخلاق ونعم ما صنف (٢) فيجب على كل مسلم حفظها(٣)

---

(١) **هو الإمام العلامة:** محمد بن يوسف محمد بن علي محمد بن علي العلوي الحسني أبو القاسم من أهل سمرقند قال الإمام السمعاني إمام فاضل عالم بالتفسير و الحديث والفقه والوعظ ت ٥٥٦هـ مترجم في الجواهر المضية للحافظ القرشي.

(٢) **نعم:** من أفعال المدح وما موصولة فاعله، وصنف صلته والمخصوص بالمدح محذوف للعلم به أي كتاب الأخلاق.

(٣) أي فإذا كان علم الأخلاق فرضاً يجب على كل مسلم حفظ الأخلاق المذكورة في كتاب ناصر الدين السمرقندي .

أقول: أو ما يماثله من كتب الأخلاق.

وأما حفظ ما يقع في بعض الأحايين ففرض على سبيل الكفاية إذا قام به البعض في بلدة سقط عن الباقين فإن لم يكن في البلدة من يقوم به اشتركوا جميعاً في الإثم(١) ويجب على الإمام أن يأمرهم بذلك ويجبر أهل البلدة على ذلك(٢) وقد قيل إن علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال هو بمنزلة الطعام لا بد لكل واحد منه(٣) وعلم ما يقع في بعض الأحايين بمنزلة الدواء يحتاج إليه في بعض الأوقات(٤)

---

(١) وأما حفظ ما يقع أي يلزم في بعض الأحايين جمع الحين كصلاة الجنازة ورد السلام وما شابه ذلك ففرض على سبيل الكفاية.

وحكم فرض الكفاية: أنه إذا قام به البعض وحصلت به الكفاية سقط الإثم عن الأمة فإن لم يكن في البلدة من يقوم بفرض الكفاية اشترك الجميع في الإثم.

(٢) ويجب على الإمام ونوابه أن يأمروا أهالي البلدة أو القرية بإحياء الفروض الكفائية وله أن يجبرهم على ذلك إذا امتنعوا.

فلو فرضنا مثلاً وقوع ميت بقرية يأمرهم الإمام بدفنه فإن امتنعوا أجبرهم على ذلك فافهم.

(٣) وهذا حال فرض العيني كالصلاة والصيام.

(٤) وهذا حال الفرض الكفائي كصلاة الجنازة وعيادة المرضى وما شابه ذلك.

وعلم النجوم(١) بمنزلة المرض فتعلمه حرام(٢) لأنه يضر ولا ينفع(٣) والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن فينبغي لكل مسلم أن يشتغل في جميع أوقاته بذكر الله تعالى والدعاء والتضرع وقراءة القرآن والصدقات ويسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ليصونه الله تعالى عن البليات والآفات فإن من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة(٤) فإن كان البلاء مقدراً يصبه لا محالة ولكن ييسره الله تعالى عليه ويرزقه الصبر ببركة الدعاء(٥)

---

(١) هو علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية كذا في حاشية ابن عابدين رحمه الله تعالى.

(٢) سيأتي تفصيل ما يحل منه وما يحرم.

(٣) لأنه أي علم النجوم يضر باعتقاده ويشغله عن العبادة ولا ينفع وكل علم يضر ولا ينفع فتعلمه حرام ينتج علم النجوم تعلمه حرام لأنه ليس بوسيلة ولا بمقصود شرعاً.

(٤) لما كان غرض من يتعلم علم النجوم عادة أن يفر من قضاء الله وقدره وينجو من المهالك والمخاطر.

بين المصنف رحمه الله بطلان هذا الغرض بقوله: **والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن** فالقضاء والقدر لا يدفعه علم التنجيم بل ما قدر يكون فينبغي للمسلم إذاً أن لا يضيع عمره فيما لا ينفع من علم التنجيم بل يضر وعلى المسلم أن يشتغل بالأسباب الدافعة للبلاء

التي منها ذكر الله عز وجل والدعاء والتضرع وقراءة القرآن والصدقات.

وأن يكثر العبد من سؤال ربه العفو والعافية في الدنيا والآخرة ليصونه الله عز وجل ويحفظه من البلاء والآفات فإن من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ (غافر: ٦٠).

(٥) لما قرر المصنف أن القدر لا مفر منه وأن تعلم علم النجوم لا يدفع القضاء وأشار على المسلم بالأخذ بالأسباب المشروعة لدفع البلاء من الذكر والدعاء والصدقة توجه سؤال وهو ما فائدة هذه الأسباب المشروعة مع أن البلاء المقدر لا بد أن يكون؟

فأجاب المصنف: بأن القضاء المقدر لا بد أن يكون وهو واقع لا محاله ولكن هذه الأسباب المشروعة يحصل ببركتها لطف عظيم وتيسير كبير ورضى بالمكتوب وصبر واحتساب للأجر.

اللهم إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فيجوز ذلك(١)

---

(١) **هذا الاستثناء لبيان:** ما يجوز تعلمه من علم النجوم.

وقد قسم الفقهاء علم النجوم إلى قسمين:

▪ **الأول حسابي:** وهو تحديد أوائل الشهور بحساب سير النجوم ويسمى من يمارس ذلك المنجم بالحساب.

ولا خلاف بين الفقهاء في جواز ممارسه التنجيم بهذا المعنى وتعلم ما يعرف به مواقيت الصلاة والقبلة بل ذهب جمهور العلماء أن ذلك فرض كفاية.

وجاء في حاشية ابن عابدين والحسابي حق وقد نطق به الكتاب في قول الحق تبارك وتعالى ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾ (الرحمن).

وأجاز الفقهاء الاعتماد عليه في دخول أوقات الصلاة وتحديد جهة القبلة ا.هـ

▪ **والثاني استدلالي وقد عرف ابن عابدين هذا القسم:** بأنه علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية.

وهذا القسم هو المنهي عنه إذا ادعى أصحابه أنهم يعلمون الغيب بأنفسهم منه أو أن لها تأثيرا على الحوادث بذاتها لحديث من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد رواه أبو داود وصححه الإمام النووي.

وحديث(من أتى عرافا أو كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

أما إذا أسند الحوادث لعادة أجراها الله تعالى عند الوقت الفلاني فلا يأثم بذلك لخبر إذا أنشأت بحرية تم تشاءمت فتلك غديقة رواه مالك في الموطأ.

والمعنى: أن الغيمة البحرية إذا اتجهت شمالاً فهي كثيرة المطر فهذا كاستدلال الطبيب بالنبض على الصحة والمرض.

وقال ابن عابدين إنما زجر أي عن علم النجوم الاستدلي لأسباب ثلاثة:
(١) أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقي إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أنها المؤثرة.
(٢) أن أحكام النجوم تخمين محض قال ابن عابدين وقد كانت معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس.
(٣)أنه لا فائدة فيه فإن ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن ا.هـ.

وأما تعلم علم الطب(١) فيجوز لأنه سبب من الأسباب فيجوز كسائر الأسباب وقد تداوى النبي صلى الله عليه وسلم(٢) وقد حكي عن الشافعي(٣) رحمه الله أنه قال العلم علمان علم الفقه للأديان وعلم الطب للأبدان وما وراء ذلك بلغة مجلس(٤)

---

(١) هو علم تحصل به معرفة أحوال الأبدان من الصحة والسقم سمي به لأن الطب في اللغة: علاج الجسم.

(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: كان هديه صلى الله عليه وسلم فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه ا.هـ.

(٣) هو ناصر السنة أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي توفي ٢٠٤هـ رضي الله عنه.

(٤) البلغة بالضم: ما يتبلغ به من العيش أي ما اكتفي به فجردت هاهنا لمعنى الكفاية أي ما وراء ذينك العلمين كفاية مجلس ليس له نفع سوى كونه رونق المجلس.

وأما تفسير العلم فهو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به كما هو(١) والفقه معرفة دقائق العلم مع نوع علاج قال أبو حنيفة(٢) رحمة الله عليه الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها(٣) وقال أبو حنيفة رحمه الله ما العلم إلا العمل به(٤) والعمل به ترك العاجل للآجل فينبغي للإنسان ألا يغفل عن نفسه وما ينفعها وما يضرها في أولها وآخرها فيستجلب ما ينفعها ويجتنب ما يضرها كي لا يكون عقله وعمله حجة عليه فيزداد عقوبة نعوذ بالله من سخطه وعقابه، وقد ورد في مناقب العلم وفضائله آيات وأخبار صحيحة مشهورة لم نشتغل بذكرها كيلا يطول الكتاب(٥)

---

(١) وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٢) **هو الإمام الأعظم**: أحد أعيان التابعين أبو حنيفة النعمان بن ثابت ت ١٥٠هـ رضي الله عنه.

(٣) **الفقه لغة**: الفهم

قال في القاموس الفِقه بالكسر: العلم بالشيء والفهم له.

وفي المصباح المنير الفقه: فهم الشيء.

وقال ابن فارس: وكل علم لشيء فهو فقه **والفقه عند علماء الأصول هو**: العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها **وعند الفقهاء**: علم بالمسائل الشرعية العملية.

وعرف الإمام الأعظم رضي الله عنه الفقه: بأنه معرفة النفس مالها وما عليها وهذا هو معنى الفقه عند السلف وهو مرادف للدين والشريعة فهو بهذا المعنى شامل للعقائد وما يتعلق بتهذيب النفوس وإصلاحها وما إليه مما اختص ببيانه علماء الأخلاق والتصوف والفقه المتعلق بأفعال المكلفين.

لكن تطور مدلول الفقه بعد ذلك ليختص بالأحكام المتعلقة بأعمال الأنسان الظاهرة فخرج بذلك علم العقائد وعلم التصوف.

(٤) **وقال بعض السلف:** إن العمل بما علمه المكلف من الأحكام أحد ركني الفقه فالفقه يقوم على ركنين الفهم لمسائله، والعمل بها .
(٥)بسط الكلام عليها الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله وأفردها جمع منهم العلامة المحدث أحمد عبد الباري عاموه في كتابه الدر الثمين في فضل العلم والعلماء والمتعلمين ولنتبرك بذكر طرف من ذلك قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه).

وقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر).

وقال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران).

وقال تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة: ١١ .)

قال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الأنبياء).

وقال تعالى ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(العنكبوت).

وقال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ (العنكبوت: ٤٩).

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر: ٢٨)

وقال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (البينة: ٧ – ٨).

اقتضت الآيتان: أن العلماء رحمهم الله يخشون الله والذين يخشون الله هم خير البرية إذاً العلماء هم خير البرية.

ومن السنة ـ قوله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم.

وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سَهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلماً) رواه الترمذي وحسنه.

وعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهم عابد والآخر عالم فقال عليه الصلاة والسلام (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم).

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح رواه البزار من حديث عائشة مختصرا قال (معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر).

وعن أبي أمامه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته) رواه الطبراني والحاكم وصححه وفي هذه الإشارة كفاية والله أعلم.

وقال صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) أخرجه أبو داود والترمذي.

وحسبك بهذه الدرجة مجداً وفخراً وبهذه الرتبة شرفاً وذكرا فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وراثة تلك الرتبة.

الفصل الثاني في النية في حال العلم

ثم لا بد له(١) من النية في زمان تعلم العلم(٢) إذ النية هي الأصل في جميع الأحوال(٣) لقوله عليه الصلاة والسلام إنما الأعمال بالنيات حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) كم من عمل يتصور بصورة عمل الدنيا ويصير بحسن النية من عمل الآخرة(٥) وكم من عمل يتصور بصورة الآخرة ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية(٦).

---

(١) أي لطالب العلم.

(٢) لم يقل في بدء تعلم العلم إشارة إلى أن تحصيل النية ممكن في أثناء التحصيل وإن لم يكن في أوله صحيحاً.

وقد **قال حجة الإسلام الغزالي**: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن حبيب بن أبي ثابت ١١٩هـ قال: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد وعن معمر بن راشد طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله اهـ.

وعلى المعلم أن يحرض المبتدئ على حسن النية بالتدرج قولاً وعملاً.

(٣) **النية في اللغة**: مصدر نوى والاسم النية بتشديد الياء عند أكثر اللغويين والتخفيف فيها لغة محكية.

والنية اصطلاحاً عند علمائنا الحنفية: قصد الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في إيجاب الفعل ودخل في التعريف المنهيات فإن المكلف به الفعل الذي هو كف النفس كذا في رد المحتار لابن عابدين رحمه الله.

والنية: هي محط نظر الله تعالى من العبد

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) رواه مسلم.

وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وهذا هو سر اهتمام الشارع بالنية فأناط قبول العمل ورده وترتيب الثواب والعقاب بالنية ولهذا كانت النية هي الأصل في جميع الأحوال.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) كالأكل والشرب والنوم فإن صورتها صورة أعمال الدنيا ويصير كل واحد منها قربة بمقارنة حسن النية كأن يقصد بالأكل والشرب أو النوم التقوي على عبادة الله.

(٦) كأن يقصد من صلاته أو صدقته الرياء والعياذ بالله عز وجل.

وينبغي(١) أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام فإن بقاء الإسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل وأنشدني(٢) الشيخ الإمام الأجل الأستاذ برهان الدين صاحب الهداية(٣) لبعضهم شعراً

فساد كبير عالم متهتك(٤) وأكبر منه جاهل متنسك(٥)

هما فتنة في العالمين عظيمة لمن بهما(٦) في دينه يتمسك

---

(١) هذا شروع لبيان كيفية النية.

(٢) الإنشاد قراءة الشعر.

(٣) **هو العلامة الكبير المحقق**: برهان الدين علي أبن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني نسبة إلى بلدة يقال لها مر غينان من بلاد فرغانة قال الذهبي في تاريخ الإسلام العلامة شيخ الحنفية ا.هـ.

له مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب الهداية وهو من أشهر كتب الحنفية توفي ٥٩٣هـ.

(٤) **المتهتك**: الذي لا يبالي أن يهتك ويمزق سره.

والعالم المتهتك هو: الذي يفعل خلاف الشرع من الأفعال الردية ولا يبالي أن يفتضح وإنما كان فساده كبيراً لأنه محل الاقتداء فبتهتكه يضل ويُضل من يقتدي به.

(٥) **الجاهل المتنسك**: هو المتعبد الجاهل وإنما عظم خطر هذا لأنه قد يعتقد بجهله ما لا يجوز في حق الله عز وجل أو في حق رسله عليهم السلام فضلاً عن خلط الأعمال بخلاف العالم المتهتك فإن ضرره في الأعمال لا في الاعتقاد.

(٦) **بهما**: أي العالم المتهتك والجاهل المتنسك نسأل الله السلامة والعافية.

وينوي به(١) الشكر على نعمة العقل وصحة البدن ولا ينوي به إقبال الناس عليه ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره(٢)

---

(١) وينوي طالب العلم به أي بالعلم الشكر على نعمة العقل وصحة البدن.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) يعني ريحها أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار) رواه ابن ماجه وابن حبان وهو حديث صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار) رواه الترمذي وابن ماجه ورجالهما ثقات إلا أن فيه انقطاعاً بين خالد بن دريك وابن عمر رضي الله عنهما والآثار في الباب كثيرة وفي هذا القدر كفاية.

قال محمد بن الحسن رحمه الله لوكان الناس كلهم عبيدي لأعتقتهم وتبرأت من ولائهم، ومن وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس(١) أنشدنا الشيخ الإمام الأجل الأستاذ قوام الدين حماد بن إبراهيم بن إسماعيل الصفار الأنصاري(٢) إملاءً لأبي حنيفة(٣) رحمه الله تعالى شعراً

من طلب العلم للمعاد(٤) فاز بفضل من الرشاد(٥)

فيا لخسران طالبيه لنيل فضل من العباد(٦)

---

(١) أي تصير رغبته فيما عند الناس قليلة ويمكن أن يراد بالقلة العدم أي لا يرغب فيما عند الناس لأن العلم أعز الأشياء وألذها فلا يلتفت العاقل إلى غيره.

(٢) **قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام**: الإمام قوام الدين أبو المحامد بن الإمام ركن الدين أبي إسحاق بن الإمام أبي إبراهيم الوائلي البخاري الصفاري الحنفي ا.هـ ت ٥٧٦هـ.

(٣) **الإملاء**: الكتاب وهو هنا بمعنى المكتوب نصب على أنه مفعول.

أنشدنا: أي قرأ علينا الشعر المكتوب لأبي حنيفة رحمه الله تعالى.

(٤) أي لتحصيل ثواب الآخرة .

(٥) **الفوز**: الظفر ومن الرشاد في موضع الجر على أنه صفة فضل.

والرشاد: السداد على الدين القويم يعني أن من قصد بالعلم تحصيل ثواب الآخرة ظفر بالرشاد الذي هو الفضل والشرف وكيف لا يكون فضلاً وهو الموصل إلى الدرجات الفائقة والمراتب العالية في الجنة.

(٦) **فيا**: حرف نداء والمنادى محذوف، **والخسران**: مبتدأ.

والمعنى: إذا كان طلب العلم للآخرة سبباً لحصول الظفر بالسداد فيا قوم الخسران ثابت لطالبه أي العلم لنيل فضل وإكرام من العباد لارتباط هذا الطالب بالفانية بخلاف الطالب الأول الذي ربط قصده بالباقية.

اللهم إلا إذا طلب الجاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحق وإعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

---

(١) **بعد أن قرر المصنف حرمة طلب العلم للجاه والدنيا استثنى من ذلك هذه الصورة وهي**: أن يقصد المتعلم بالعلم الجاه أي المنصب كالإفتاء والتدريس والقضاء ليتمكن بذلك الجاه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحق وإعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز له طلب الجاه حينئذ لهذه الأغراض العظيمة.

ولكن بقدر ما يقيم ويؤدي به أي بالجاه والمنصب وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه جاز للضرورة والضرورة تقدر بقدرها فافهم.

وينبغي لطالب العلم أن يتفكر في ذلك فإنه يتعلم العلم بجهد كثير فلا يصرفه إلى الدنيا الحقيرة الفانية وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الدنيا فو الذي نفس محمد بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت(١)

هي الدنيا أقل من القليل وعاشقها أذل من الذليل(٢)

تصِمُ بسحرها قوماً وتعمي فهم متحيرون بلا دليل(٣)

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ومن طريق البيهقي في الشعب وهو حديث ضعيف.

وفسره في نوادر الأصول بقوله (هاروت وماروت ليسا من جنس الآدميين والشيء إنما يألف جنسه والآدمي خلق من الدنيا فهو يألفها وينخدع لها وهاروت وماروت لا يعلمان أحداً السحر حتى يقولا إنما نحن فتنه فلا تكفر فهذا يعلمك سحره وينبئك فتنته والدنيا تعلمك سحرها وتكتمك فتنتها وتدعوك إلى التحارص عليها والجمع لها والمنع منها فيتعلم منها ما يفرق بينه وبين طاعه الله وبينه وبين رؤية الشيء يعمي ويصم فمن أحب الدنيا أعمته وأصمته عن آخرته ومن أحب الآخرة أعمته وأصمته عن دنياه ومن أحب نفسه أعمته وأصمته عن الله ومن أحب الله أعماه وأصمه عن نفسه فإن الدنيا تحجب عن الآخرة والنفس تحجب عن الله ودنياه إنما هي نفسه وشهواتها فسحرها

أقرب إليه من سحر هاروت وماروت فسحر نفسه ودنياه أصلي وسحر هاروت وماروت دخيل وليس الدخيل كالأصل).

(٢) **الدنيا**: مبتدأ ثاني أقل خبر للمبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الأول وهذا كناية عن غاية القلة كما أن أذل من الذليل كناية عن تمام الذلة.

(٣) أي تجعل الدنيا ذا صمم بسحرها أي زخارفها وشهواتها المشبهة للسحر في استجلاب القلوب قوما خدعوا بها فتبعوها ومالوا إلى زخارفها وشهواتها.

وكذلك الدنيا تعمي أي تجعل متبعيها عمياناً لا يبصرون الحق فهم إذا كانوا صما وعميا متحيرون بلا دليل يهديهم إلى الصرط المستقيم.

وينبغي لطالب العلم ألا يذل(١) نفسه بالطمع في غير المطمع(٢) ويتحرز عما فيه مذلة(٣) العلم وأهله(٤) ويكون متواضعاً(٥) والتواضع بين التكبر والمذلة(٦) والعفة كذلك(٧)

---

(١) من الإذلال بمعنى المهانة.

(٢) والمطمع المحمود في رضى الله عز وجل والفوز في الآخرة فمن طمع في الدنيا طمع في غير مطمع ومن طمع في العلم المقرب من الله طمع في مطمع .

(٣) مصدر ميمي.

(٤) بأن يضع نفسه في مواضع الابتذال والحطة والمهانة بمجالسة الفسقة ومخالطة الظلمة ومماشاة السوقة فالتحرز عن مثل هذا لازم.

(٥) ويكون طالب العلم متواضعاً لأن التواضع من صفات الصالحين.

قال الإمام أبو يوسف: أريدوا بعلمكم وجه الله فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه التواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح ا.هـ تذكرة السامع.

(٦) **هذا تفسير التواضع عند المصنف رحمه الله فهو:** توسط بين صفتين ذميمتين إحداهما الكبر وثانيهما المهانة.

فالتواضع: بين ذلك وهو صفة محمودة تدل على طهارة النفس وتدعو إلى المودة والمحبة.

(٧) **والعفة**: وهي التحرز عن الحرام كذلك أي كالتواضع في كونها من صفات الصالحين التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم.

ويعرف هذا في كتاب الأخلاق أنشدني الشيخ الإمام الأستاذ ركن الإسلام المعروف بالأديب المختار(١) رحمه الله شعراً لنفسه:

إن التواضع من خصال المتقي ... وبه التقي إلى المعالي يرتقي(٢)

ومن العجائب عجب من هو جاهل ... في حاله أهو السعيد أم الشقي(٣)

---

(١) **هو:** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر يوسف ركن الدين الفرغاني المعروف بالأديب المختار وصف بالفقه والأدب والشعر ت ٥٩٤هـ.

(٢) **التواضع:** اسم والجار والمجرور متعلق بمستقر خبره.

وخصال: جمع خصلة وهي خلق حميد والمتقي هو الخائف من الله والمتجنب للمعاصي وبه أي بالتواضع التقي فعيل بمعنى الفاعل مرفوع على أنه مبتدأ ويرتقي خبره.

ومعنى يرتقي: يصعد ويصل وحاصل المعنى أن التواضع من خصال المتقين وبسببه يصلون إلى الدرجات الرفيعة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل سافلين) أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن ماجه وابن حبان وهو حديث حسن لغيره.

قال السندي: قوله رفعه الله درجة أي كلما تواضع وبه ظهر تعلق قوله حتىٰ يجعله الله في عليين بالكلام .

(٣) **ومن العجائب**: خبر مقدم عجب مبتدأ مؤخر من هو جاهل من موصولة والجملة التي بعدها صلته أهو الهمزة للاستفهام وهو مبتدأ والسعيد خبره أم الشقي عطف علىٰ السعيد.

وحاصل المعنى: من العجائب حال الشخص الجاهل بحاله لا يدري أهو سعيد من السعداء أم شقي من الأشقياء ومع هذا تجده مغروراً معجباً بحاله والأصل فيمن هذا حاله أن يكون متفكراً في حاله بين الخوف والرجاء يخشىٰ من سوء الخاتمة نسأل الله السلامة.

أم كيف يختم عمره أو روحه يوم التوى متسفل أو مرتقي(١)

والكبرياء لربنا صفة له مخصوصة فتجنبها واتقِ(٢)

---

(١) أم كيف يختم عمره أي لا يدري كيف يختم عمره أي يختم على الإيمان أم على الكفر نعوذ بالله أو روحه يوم التوى يوم الهلاك وهو يوم الوفاة.

متسفل أو مرتقي: خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو أي الروح.

متسفل: أي نازل في أسفل سافلين أو مرتقي أي صاعد إلى أعلى عليين.

يعني: لا يدري أيختم على الإيمان فيرتقي إلى أعلى عليين وهو مقام المؤمنين أم على خلافه نعوذ بالله تعالى فينزل إلى أسفل سافلين.

(٢) **والكبرياء لربنا عز وجل**: صفة له مخصوصة وحده لا شريك له فتجنبها واتقِ الاتصاف بتلك الصفة لأنها مخصوصة بذات الله عز وجل وإثبات الياء في التقي للضرورة.

ويدل على اختصاص الله عز وجل بصفة الكبرياء الحديث القدسي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل(الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) رواه أبو داود وابن ماجه

وأحمد بلفظ والعزة إزاري ورواه ابن ماجه أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال العلامة ابن الأثير في النهاية عن صفة الكبرياء: قيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى ا.هـ.

فالله عز وجل الكامل ذاتاً ووجوداً والغني المطلق الذي يفتقر إليه كل شيء ولا يفتقر إلى شيء والإنسان ناقص ذاتاً بافتقاره إلى الله عز وجل وناقص في وجوده لافتقاره في وجوده إلى إيجاد الله عز وجل وهو مخلوق محدود ضعيف قال تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء).

لذلك كانت أشرف صفات الإنسان العبودية لله عز وجل وعلى قدر تحققك بالعبودية يكون شرفك أما الغني المطلق فصفته الكبرياء فهو المتكبر عز وجل.

وقد جاء الوعيد الشديد في ذم الكبر من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).

فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال صلى الله عليه وسلم (إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس).

وقال صلى الله عليه وسلم (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى (بولس) تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)رواه الترمذي وحسنه.

قال أبو حنيفة رحمه الله لأصحابه عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم وإنما قال ذلك لئلا يستخف بالعلم وأهله، وينبغي لطالب العلم أن يحصل كتاب الوصية التي كتبها أبو حنيفة ليوسف بن خالد السمتي رحمة الله عليه(١) عند الرجوع إلى أهله يجده من يطلبه(٢) وقد كان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الأئمة علي بن أبي بكر قدس الله روحه العزيز(٣) أمرني بكتابته عند الرجوع إلى بلدي فكتبته(٤) ولا بد للمدرس والمفتي في معاملات الناس منها(٥).

---

(١) هو الإمام يوسف بن خالد بن عمير السمتي.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام: لزم أبا حنيفة الإمام حتىٰ برع وصار من نجباء أصحابه توفي سنة ١٨٩هـ.

(٢) وهو مطبوع بعنايتنا.

(٣) صاحب الهداية سبقت ترجمته.

(٤) امتثالاً لأمر أستاذه.

(٥) أي الوصية المشار إليها لكونها جامعة لفوائد كثيرة وفرائد وفيرة وكذا وصية الإمام الأعظم لأبي يوسف رحمه الله وهي مطبوعة كذلك بعنايتنا فاحرص عليها.

الفصل الثالث
في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات عليه

وينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه(١) وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، وما يحتاج إليه في المآل(٢)، فيقدم علم التوحيد(٣) والمعرفة، ويعرف الله تعالى بالدليل، فإن إيمان المقلد وإن كان صحيحاً عندنا(٤) لكن يكون آثماً بترك الاستدلال، ويختار العتيق(٥)

---

(١) العلوم كثيرة والفنون متعددة فاحرص على أن تتخذ من كل شيء أحسنه ولله در القائل:

ما حوى العلم جميعا أحد   لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم كبحر زاخرٍ   فاتخذ من كل شيء أحسنه

(٢) لأن العلوم كثيرة فالمطلوب أن يبدأ الإنسان بما هو مفروض عليه عيناً كتعلم الصلاة وما يتعلق بها ثم ما يحتاج إليه من فروض الكفايات بعد الفراغ من تعلم فروض العين.

(٣) لأنه أساس سائر العلوم.

(٤) معشر أهل السنة والجماعة.

(٥) أي القديم الذي كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم.

عن أبي قلابة قال: قال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أصحابه وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متىٰ يُفتقر إليه أو يفتقر إلىٰ ما عنده وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلىٰ كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق رواه الدارمي.

والتنطع: المغالاة والتكلف في القول والعمل.
والتعمق: أي التشدق في الكلام.
والعتيق: القديم.

دون المحدثات(١) قالوا(٢) عليكم بالعتيق وإياكم(٣) والمحدثات.

---

(١) دون المحدثات من الكتب والعلوم التي اختلطت بفلسفة اليونان وما شابه ذلك من الكتب الغير معتبرة عند العلماء لجمعها الغث والسمين.

(٢) القائل هم العلماء الربانيون قالوا ذلك وصية لتلاميذهم.

(٣) هذا من باب التحذير المذكور في كتب النحو أي أبعدوا أنفسكم عن المحدثات والمحدثات من أنفسكم ولا تقربوها ففي المعتبر من كتب أهل السنة غنية عن المحدث المختلط بها لا تحمد عاقبته.

وإياك أن تشتغل بهذا الجدال الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء(١) فإنه يبعد الطالب عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة(٢) وهو من أشراط الساعة وارتفاع العلم والفقه كذا ورد في الحديث(٣)

---

(١) **قال النووي رحمه الله في تهذيب الأسماء واللغات الجدل والجدال والمجادلة**: مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل وأصله الخصومة الشديدة.

ويسمى جدلاً: لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته إحكاماً بليغاً على قدر طاقته تشبيها بجدل الحبل وهو إحكام فتله يقال جادله يجادله جدالاً ا.هـ.

واعلم أن الجدل ينقسم إلى قسمين:

- **أحدهما محمود**: وهو ما كان لإظهار الحق وبيانه وتوضيحه ودمغ الباطل وفضحه وله شروط وقواعد مقررة في علم الجدل والمناظرة لا بد من دراستها للتأهل في هذا العلم.
- **وثانيهما مذموم**: وهو ما كان على الجهل أو طلب المغالبة أو لرد الحق وصرف وجوه الناس إلى المجادل والمذموم لا ينبغي الاشتغال به ابتداء وانتهاء والمحمود لا ينبغي للمبتدئ من طلاب العلم أن يشتغل به بل عليه بالصافي من العلم والمعرفة وهذا ما كان عليه سلف الأمة.

فلما ظهر الجدل الا بعد انقراض الأكابر من العلماء ولا حول ولا قوة إلا بالله والمتأهل للجدل المشروع لا يخوض فيه إلا لضرورة فافهم.
(٢) فإنه أي الجدل يبعد طالب العلم عن التفقه في الدين ويضيع العمر بصرفه فيما لا منفعة فيه ويورث الوحشة في القلوب والعداوة في النفوس.
(٣) وهو أي انشغال المعلمين والمتعلمين بالعلوم التي لا نفع فيها المؤدية إلى ارتفاع العلوم الشرعية المنضبطة المرضية عند الله عز وجل وعند رسوله صلى الله عليه وسلم لا شك أن هذا من أشراط الساعة جمع شرط بفتح الراء بمعنى العلامة والساعة القيامة.

كما أن من علامة الساعة ارتفاع العلم والفقه كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: لأحدثنكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقلّ الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد).

وفي لفظ البخاري (من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل).

وفي لفظ للبخاري(إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل).

وفي لفظ لمسلم (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل).

وعند البخاري من حديث أبي موسى قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن بيدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج) **والهرج**: القتل.

وفي لفظ لابن ماجه من حديث ابن مسعود رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (أنه قال بين يدي الساعة أيام الهرج أيام يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل).

وأما اختيار الأستاذ(١) فينبغي أن يختار الأعلم والأورع والأسن(٢)

---

(١) اختيار الطالب لشيخه الذي سيأخذ عنه ويدرس عنده أمر مهم جداً لأن أساتذة طالب العلم هو مصدر غذائه العلمي والفكري والسلوكي والروحي.

وشيخك الخاص الذي به تتخرج هو صاحب الحظ الأكبر والنصيب التام الأوفر في تكوين تلميذه في هذه الجوانب الأربعة وهو قدوته فيها بل هو الصلة بين طالب العلم وبين الله عز وجل وبين طالب العلم وبين العباد أيضا.

لذلك كان من أنفع طرق العمل الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام.

كما يقول الشاطبي رحمه الله: والأصل في هذا الباب ما أسنده الرامهرمزي إلى أبي العالية الرياحي رحمه الله وأسند الخطيب إلى إبراهيم النخعي رحمه الله ولفظ الرياحي والنخعي واحد هو قولهما كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى صلاته وإلى حاله ثم يأخذون عنه.

وروى مسلم في مقدمة صحيحه وختم به الترمذي كتابه الشمائل عن الإمام التابعي الجليل محمد بن سيرين توفي ١١٠هـ رحمه الله تعالى قوله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ومراده بهذا العلم العلوم الشرعية والعربية وآلاتها لكونها خادماً للعلوم الشرعية كما نبه إليه المناوي رحمه الله ا.هـ ملخصاً من معالم إرشادية لشيخنا العلامة محمد عوامه.

(٢) هذه ثلاث صفات أساسية لاختيار الأستاذ هي: الأعلمية والورع وكبر السن فقد ذهب أكابركم بالبركة.

وقال البدر بن جماعة رحمه الله في تذكرة السامع: ينبغي للطالب - أي لطالب العلم - أن يقدم النظر ويستخير الله تعالىٰ في من يأخذ العلم عنه ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته واشتهرت صيانته وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل.

وقال أيضا رحمه الله: وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبا والفلاح يدرك طالباً إلا إذا كان للشيخ من التقوىٰ نصيب وافر وعلىٰ شفقته ونصحه للطالب دليل ظاهر.و

قال أيضا رحمه الله: وليجتهد الطالب علىٰ أن يكون الشيخ ممن له علىٰ العلوم الشرعية تمام الا طلاع وله مع من يوثق به من مشايخ

عصره كثرة بحث وطول اجتماع لا ممن أخذ من بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق.

وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في صفات شيخ التصوف:
هو من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قد تابع شيخاً بصيراً تتسلسل متابعته إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وكان محسنا رياضة نفسه وكان بمتابعة الشيخ البصير جاعلاً محاسن الأخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والسخاء والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم يصلح للاقتداء به ا.هـ أيها الولد.

كما اختار أبو حنيفة رحمة الله عليه حماد بن أبي سليمان بعد التأمل والتفكر(١) وقال وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً(٢) وقال ثبت عند حماد بن أبي سليمان فلم أترك درسه فنبتُّ(٣)

---

(١) بعد ذكر المؤلف لأهم صفات الشيخ الذي ينبغي اختياره ضرب مثلاً لطالب العلم في اختيار شيخه ذلك المثل هو: ما صنعه الإمام الأعظم حين إرادته التفقه في الدين حيث تأمل الإمام وتفكر عند من يدرس ومن يصحب وأي شيخ يختار فاختار بعد الفكر والتأمل أعلم علماء زمانه وأورعهم وأسنهم ذاك هو الإمام حماد بن أبي سليمان مسلم أبو إسماعيل الأشعري مولاهم الكوفي أحد عظماء أئمة الإسلام وأفقه أصحاب إبراهيم النخعي فلزمه أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أن مات شيخه حماد سنة ١٢٠هـ رحمه الله رحمة الأبرار.

(٢) وقال أي أبو حنيفة الإمام الأعظم رضي الله عنه: وجدته أي حماد بن أبي سليمان شيخاً مسناً تجاوز الخمسين سنة وقوراً ساكناً مطمئناً حليماً غير غضوب في مقام التعليم صبوراً في الأمور الشاقة كتقرير الدرس وتكراره وتفهيمه.

(٣) وقال أي الإمام الأعظم رضي الله عنه: ثبت على صيغة المتكلم عند حماد رحمه الله فلم أترك درسه فنبتُّ على صيغة المتكلم أي نلت هذه المرتبة الاجتهادية وفي هذا استعارة تمثيلية حيث شبه حالة من نابتة عند أستاذه ومن نيله مرتبة الاجتهادية بحال شجرة ثابتة بالغة إلى كمال نموها فاستعير نبتُّ بمعنى نلت.

قال(١) رحمه الله سمعت حكيماً من حكماء سمرقند يقول إن واحداً من طلبة العلم شاورني في طلب العلم وكان عازماً على الذهاب إلى بخارى لطلب العلم وهكذا ينبغي أن يشاور في كل أمر فإن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمشاورة في كل الأمور قال الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ولم يكن أحد أفطن منه بالأمور ومع ذلك أمر بالمشاورة فكان يشاور أصحابه في جميع الأمور حتى حوائج البيت(٢) قال علي رضي الله عنه (ما هلك امرؤ عن مشورةٍ).

قيل الناس رجل ونصف رجل ولا شيء فالرجل من له رأي صائب ويشاور العقلاء ونصف رجل من له رأي صائب لكن لا يشاور أو يشاور ولكن لا رأي صائب له ولا شيء من لا رأي له ولا يشاور(٣) وقال جعفر الصادق لسفيان الثوري رضي الله عنه عنهما(٤) (شاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى) وطلب العلم من أعلى الأمور وأصعبها فكانت المشاورة فيه أهم وأوجب(٥)

---

(١) أي الإمام الأعظم رضي الله عنه.

(٢) وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة فاحرص على المشاورة واطلبها من أهلها ففي الشورى بركة.

(٣) أخرجه البيهقي في سننه بإسناد رجاله ثقات عن الشعبي قال الرجال ثلاثة وذكره وأخرجه ابن سمعون في أماليه بسند صحيح إلى قتادة قال الرجال ثلاثة وذكره.

(٤) **جعفر الصادق هو**: الإمام المجمع على جلالته بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه توفي سنة ١٤٨هـ.

وسفيان الثوري هو: الإمام الثقة الحافظ الفقيه العابد سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الكوفي توفي سنة ١٦١هـ.

(٥) والمشاورة لا تكون في نفس العلم وتحصيله فذلك فرض عين أو كفاية وإنما تكون في كيفية تحصيله واختياره واختيار الأستاذ وما شابه ذلك.

قال الحكيم السمرقندي(١) إذا ذهبت إلى بخارى فلا تعجل في الاختلاف إلى الأئمة وامكث شهرين(٢) حتى تتأمل وتختار أستاذاً فإنك إذا ذهبت إلى عالم وبدأت بالسبق عنده فربما لا يعجبك درسه فتتركه وتذهب إلى آخر فلا يبارك لك في التعلم(٣) فتأمل شهرين في اختيار الأستاذ وشاور حتى لا تحتاج إلى تركه والإعراض عنه فتثبت عنده حتى يكون تعلمك مباركاً وتنتفع بعلمك كثيراً واعلم أن الصبر والثبات أصل كبير في جميع الأمور(٤) ولكنه عزيز(٥) كما قيل شعراً:

لكلٍ إلى شأو العلا حركات ... ولكن عزيز في الرجال ثبات(٦)

---

(١) هو القاضي العلامة: إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن زيد أبو القاسم الحكيم السمرقندي توفي في ١٠من محرم سنة ٣٤٢هـ بسمرقند رحمه الله مترجم في الجواهر المضية.

(٢) هذا التوقيت ليس بقيد بل المطلوب المكث إلى أن يحصل التأمل والاختيار سواء حصل ذلك في شهرين أو أقل أو أكثر.

(٣) لانكسار قلب معلمك بسبب تركك درسه.

(٤) ومن ذلك العلم فهو يحتاج إلى صبر الطالب على مرارة تحصيل العلم والثبات عند من ابتدأت عنده الدرس حتى تحصل بركة الأشياخ ويكمل انتفاعك بما تقرأ وتدرس.

(٥) أي قليل.

(٦) الشأو والسبق أي لكل واحد حركات قلبية إلىٰ سبق العلىٰ ولكن مخففة ملغاة العمل.

عزيز: قليل **في الرجال**: مبتدأ موصوف به ثبات خبره أو عزيز خبر مقدم وثبات مبتدأ مؤخر وفي الرجال جار ومجرور متعلق بثبات.

والمعنى: لكن العزيز أي القليل في الرجال الثبات في مبادئ الوصول إلىٰ العلىٰ ومراتبه فلذلك لا يصل أكثرهم إلىٰ العلىٰ الذي يبتني علىٰ الصبر والثبات لذلك قيل من ثبت نبت.

قيل الشجاعة صبر ساعة(١) فينبغي لطالب العلم أن يثبت ويصبر على أستاذ بالثبات عنده وعلى كتاب إلى أن يتمه حتى لا يتركه أبترَ وعلى فنٍّ حتى لا يشتغل بفنٍّ آخر قبل أن يتقن الأول وإلى بلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة فإن ذلك كله(٢) يفرق الأمور ويشغل القلب ويضيع الأوقات ويؤذي المعلم وينبغي أن يصبر عما تريده نفسه وهواه قال الشاعر:

إن الهوى لهو الهوان بعينه وصريع كل هوى صريع هوان(٣)

ويصبر على المحن والبليات(٤) فقد قيل خزائن المُنى على قناطر المحن(٥)

---

(١) وقيل في فضل الصبر: الشجاعة صبر ساعة أي الشجاعة ليست بقوة البدن ولكنها صبر ساعة على المشاق والآلام.

(٢) بالنصب تأكيد ذلك يعني: عدم الثبات عند أستاذ وعدم إتمام الكتاب وعدم إتمام الفن والاشتغال بفن آخر قبل الفراغ من الأول وإتقانه والانتقال من بلد إلى آخر لغير ضرورة كل ذلك يفرق الأمور ويشغل القلب ويضيع الأوقات في غير فائدة ويؤذي المعلم.

(٣) يعني: أن الهوى والعشق لهو الحقارة والمذلة بعينها يعني أن هوى النفس يوقع صاحبه في المذلة لتحقيق مرادات نفسه الأمارة بالسوء

وصريع كل هوىٰ صريع هوان أي مصروع كل هوىٰ ومغلوبه مصروع لكل هوان.

(٤) ويصبر معطوف علىٰ ويصبر علىٰ أستاذ.

والمحن بكسر الميم وفتح الحاء: جمع محنة.

والبليات: جمع بلية.

والمعنى: علىٰ طالب العلم أن يصبر علىٰ المحن والبليات التي تعترضه حال طلب العلم.

(٥) **المنى**: جمع منية وهي المقصود.

والقناطير: جمع قِنطار بكسر القاف وهو المال الكثير وإذا أضيف إلىٰ الشيء فالكثير منه فمن أراد تحصيل المقاصد لا بد أن يصبر علىٰ المحن الكثيرة .

ولقد أنشدت(١) وقيل إنه لعلى بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه(٢)

ألا لا تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن مجموعها ببيان(٣)

ذكاء وحرص واصطبار وبلغة وإرشاد أستاذ وطول زمان(٤)

---

(١) أي قُرِئ عليَّ هذه الأبيات.

(٢) والمشهور نسبتها إلى سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه.

(٣) **ألا**: حرف تنبيه أي تنبه واعلم أنك لا تنال العلم ولا تصل إليه إلا بستة أشياء سأنبئك أي سأخبرك عن مجموعها ببيان.

(٤) ذكاء بالجر على البدلية ويجوز الرفع على الخبرية والنصب على المفعولية وهو قوة العقل وحِدَّةُ الذهن وحرص على تحصيل العلم.

والحرص: يعني شدة الرغبة في الشيء الذي تحرص عليه والحرص على العلم يكون بالحرص على الوقت وبالحرص على تحصيل العلم من حيث العموم بالحرص على اقتناص الفائدة أن لا تفوته، واصطبار على محنه وبلياته.

وبلغة بضم الباء وسكون اللام: كفاية من العيش بحيث لا يحتاج في أمر الرزق إلى الغير فإن الاحتياج يشغل القلب ويخل بالتحصيل.

وإرشاد أستاذ: أي تعليمه له وإرشاده وتأديبه وتوجيهه وطول زمان فالعلم لا يتحصله المرء في يوم أو يومين بل لا بد من طول زمان لتحصيل العلوم وممارستها وإتقانها.

وأما اختيار الشريك(١) فينبغي أن يختار المجد والورع وصاحب الطبع المستقيم والمتفهم(٢) ويفر من الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شر فجانبه سرعة(٣) وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

---

(١) يعني الصاحب والرفيق والزميل في الدراسة والمذاكرة والحفظ والمراجعة.

(٢) **قال البدر بن جماعة**: فإن احتاج أي طالب العلم إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً ديناً تقياً ورعاً ذكياً كثير الخير قليل الشر حسن المدارة قليل المماراة إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن احتاج واساه وإن ضجر صبّره ا.هـ.

وقال الصوفية (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) ا.هـ

فينبغي لطالب العلم أن لا يصحب إلا من يعينه على ما هو في طريق تحصيله.

وفي صحيحي البخاري ومسلم قوله صلى الله عليه وسلم (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة).
ومعنى يحذيك: يعطيك.

وعند أبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).

وعند عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل (يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ فقال: من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله).
(٣) أي قبل أن يؤثر شره فيك ويسري سمه إليك فالمرؤ مأمور شرعاً بحفظ نفسه عن المهالك.

وأُنشِدْتُ:

لا تصحب الكسلان في حالاته   كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة   كالجمر يوضع في الرماد فيخمدُ(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم(كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه(٢) الحديث(٣)

---

(١) **العدوى**: السراية.

والبليد: الأحمق أي سراية حماقة الأحمق إلى الجليد أي العاقل الذكي سريعة أي واصلة بسرعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد أي كسرعة الجمر إذا وضع في الرماد فيطفئ في عقبه.

فكما أن الجمر إذا وضع في الرماد صار فحماً كذلك الجليد إذا اقترن بصحبة البليد يصير بليداً بسرعة بسبب الصحبة المؤثرة.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وفيه**: فأبواه يهودانه ولا إشكال فيه ولفظ المصنف لم أجده ونصب أبواه بالألف على لغة من جعل نصب التثنية ورفعها بالألف.

(٣) الحديث منصوب بفعل مقدر أي اقرأ وأتمم الحديث إلى آخره، وتمامه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، وثبت بهذا الحديث أن الصحبة مؤثرة وإلا فالخلقة التي خلق الله الناس عليها سالمة عن الفساد والشقاوة.

ويقال بالحكمة الفارسية:

يارِ بَدْ بَدْتَّر بُوَدْ آَزْ مارِ بَدْ   حَقِّ ذَاتِ پاكِ اللهُ الصَّمَدْ

يارِ بَدْ آرَدْ تُرا سُوْيِ جحيمْ   يارِ نِيْكُوْ گِيْرْ تا يابِيْ نَعيمْ (١)

وقيل:

إن كنت تبغي العلم من أهله   أو شاهداً يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بأسمائها   واعتبر الصاحب بالصاحب(٢)

---

(١) **يار بكسر الراء:** بمعنى الصديق.

بد: بمعنى السوء السيء.

بدتر: بمعنى الزيادة أي أسوء وأخطر.

بود بضم الباء وفتح الواو: كان.

آز بفتح الهمزة: مِنْ.

مار: الحية.

بد: سوء.

يعني الصديق السوء أسوء من الحية وأشد ضرراً منها.

ومعنى الپاكِ: بالباء العجمية المثلثة يعادلها في اللغة الإنجليزية حرف (P) المطهر والمنزه يعني أقسم بالذات الموجود المنزه عن جميع النقائص المستجمع بكمال الصفات المحتاج إليه من الأزل إلى الأبد.

يار بد: بمعنى الصديق السوء.
آرد: بمد الهمزة بمعنى يذهبوا.
تُرا: بضم التاء إياك.
سُوى: بضم السين وسكون الواو كلمة فارسية بمعنى الطرف
جحيم: كلمة عربية بمعنى النار.
يعني: الصديق السوء يذهب بك إلى طريق الجحيم.
يار بكسر الراء: الصديق.
نيكو: بكسر النون وضم الكاف وسكون الياء والواو بمعنى الحسن.
كِير: بكسر الكاف العجمية فعل أمر بمعنى اتخذ.
تا: حرف بمعنى حتى.
يابى: بمد الياء الأول وسكون الثاني مضارع بمعنى يجد.
نعيم: كلمة عربية اسم جنة من الجنان.
يعني (اتخذ الصديق الحسن الصالح تجد بسببه جنة النعيم).
(٢) **وقيل في معنى البيت الفارسي السابق بالعربية**: إن كنت أيها الطالب المتأمل في اختيار الأستاذ والصاحب تبغي أن تطلب العلم من أهله أو تطلب شاهداً يخبر عن غائب خفي فاعتبر الأرض أي خذ الخبر من الأرض ملابساً بأسمائها يعني الأرض إذا كانت ذا زرع تسمى ضيعة وذا أشجار تسمى جنة وذا بقول وبطيخ تسمى بستاناً وذا شوك أو خاليه تسمى سبخة فإذا سمعت اسماً من هذه الأسماء عرفت نوع الأرض ، واعتبر الصاحب بالصاحب فإن قارن الطالب صالحا فهو صالح وإن صاحب طالحاً فهو طالح وهكذا.

الفصل الرابع
في تعظيم العلم وأهله

اعلم بأن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره(١) فقد قيل ما وصل من وصل إلا بالحرمة وما سقط من سقط إلا بالحرمة(٢) وقيل الحرمة خير من الطاعة ألا ترى أن الإنسان لا يكفر بالمعصية وإنما يكفر باستخفافها وبترك الحرمة(٣) ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم قال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه أنا عبد من علمني حرفا واحداً إن شاء باع وإن شاء أعتق وإن شاء استرق(٤)

---

(١) وهذا داخل في تعظيم شعائر الله عز وجل المطلوب شرعا ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحج).
﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (الحج: ٣٠).

وقد اتفق العلماء على أن أدب الطالب مع العلم وأهله وأدبه مع أستاذه من أعظم أسباب الفتح على الطالب.

(٢) ما وصل من وصل إلى مقام العلم إلا بالحرمة أي بتعظيم العلم وأهله وتوقير الشيخ واحترامه وما سقط من سقط من المقامات العلية إلا بترك الحرمة أي بترك التعظيم نسأل من الله السلامة والعافية.

(٣) **وقيل الحرمة**: أي تعظيم ما يجب تعظيمه خير أي أكثر ثوابا وأعلى مرتبة من الطاعة كالصلاة والزكاة والصوم.

ألا ترىٰ أن الإنسان أي المؤمن لا يكفر بالمعصية كترك الصلاة كسلاً وإنما يكفر بترك الحرمة أي بالاستخفاف بما أوجب الله تعظيمه فمن استخف بعالم لعلمه استخف بالشريعة والاستخفاف بالشريعة كفر والعياذ بالله.

(٤) لم أجده عن علي رضي الله عنه ولكن جاء بنحوه عن بعض السلف فقد ذكر البغوي بسند صحيح في الجعديات إلى شعبة قال (كل من كتبت عنه حديثا فأنا له عبد).

وفي المرفوع حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم(من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه لا ينبغي أن يخذله ولا يتبرأ منه فإن فعل فقد فصم عروة من عرىٰ الإسلام) أخرجه تمام والطبراني وابن عدي وإسناده ضعيف.

وعند البيهقي في شعب الإيمان عن حماد الأنصاري مرفوعاً من علم القرآن عبداً الحديث وهو ضعيف.

ومعنى قول الإمام علي: أنا عبد من علمني حرفا أي مثل عبده في امتثال أمره وتعظيمه وإلا فالحر لا يكون عبداً حقيقة.

وهذا هو معنىٰ حديث أبي أمامة من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه يعني واجب عليه تكريمه وتعظيمه لا أنه يصير عبده.

وقد أنشدت في ذلك شعراً:

رأيت أحق الحق حق المعلم وأوجبه حفظاً على كل مسلم

لقد حق أن يهدى إليه كرامة لتعليم حرف واحد ألف درهم

فإن من علمك حرفاً واحداً مما تحتاج إليه في الدين فهو أبوك في الدين(١) وكان أستاذنا الشيخ الإمام سديد الدين الطرازي(٢) رحمه الله تعالى يقول قال مشايخنا رحمهم الله تعالى من أراد أن يكون ابنه عالماً فينبغي أن يراعي الغرباء(٣) من الفقهاء(٤) ويكرمهم ويطعمهم ويعظمهم ويعطيهم شيئا(٥) وإن لم يكن ابنه عالماً يكون حفيده عالماً(٦)

---

(١) يقال الآباء ثلاثة:

١. أب جئت من صلبه: وهذا والد النسب.

٢. وأب يزوجك ابنته: وهذا صهرك والد زوجتك وسُمي أباً لأنه أكرمك بابنته وضمك إليها فصرت عنده بمنزلتها.

٣. وأب يعلمك: وهذا أبٌ لروحك وهو خير الآباء الثلاثة.

قيل لذي القرنين لم تعظم أستاذك أكثر من أبيك فقال: لأن أبي أنزلني من السماء إلى الأرض وأستاذي يرفعني من الأرض إلى السماء.

يعني: أن أبي كان سبباً لنزول روحي وتعلقه ببدني في رحم أمي وأما أستاذي فيكون سبباً لعروج روحي إلى أعلى عليين بسبب كسب الكمالات والعرفان.

(٢) **هو العلامة الكبير شيخ صاحب الهداية**: محمد بن محمود بن علي بن أبي الحسين بن يوسف أبو الرضا قال الصفدي مات بعد الستين وخمسمائة رحمه الله.

(٣) جمع غريب وهو من لا أهل له ولا ألفة بأحد من الناس.

(٤) أي الصالحين العاملين.

(٥) من المال إن كانت عنده سعة.

(٦) لحب جده للعلم وتعظيمه لأهله فيكون ذلك سبباً لحفظ الأولاد وأولاد الأولاد.

وتأمل لهذا المعنى قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ (الكهف: ٨٢) قيل أنه الجد السابع والله أعلم.

ومن توقير المعلم ألا يمشي أمامه(١) ولا يجلس مكانه ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه ولا يكثر الكلام عنده إلا بإذنه(٢)

---

(١) **قال ابن جماعة رحمه الله في أدب المشي مع الشيخ**: إذا مشى الشيخ فليكن أمامه بالليل ووراءه بالنهار إلا أن يقتضي الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها.

ويتقدم عليه في المواطئ المجهولة الحال كالوحل أو خوض أو المواطئ الخطرة ويحترز من ترشيش ثياب الشيخ، وإذا كان في زحمة صانه عنها بيديه إما من قدامه أو من ورائه.

وإذا مشى أمامه التفت إليه بعد كل قليل، فإن كان وحده والشيخ يكلمه حالة المشي وهما في ظل فليكن في يمينه وقيل عن يساره متقدمًا عليه قليلاً ملتفتًا إليه ويُعَرِّف الشيخ بمن قرب منه أو قصده من الأعيان إن لم يعلم الشيخ به.

ولا يمشي لجانب الشيخ إلا لحاجة أو إشارة منه ويحترز من مزاحمته بكتفه أو بركابه إن كانا راكبين وملاصقة ثيابه ويؤثره بجهة الظل في الصيف وبجهة الشمس في الشتاء وبجهة الجدار في الرصفانات ونحوها وبالجهة التي لا تقرع الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه ولا يمشي بين الشيخ وبين من يحدثه ويتأخر عنهما إذا تحدثا

أو يتقدم ولا يقرب ولا يستمع ولا يلتفت فإن أدخله في الحديث فليأت من جانب آخر ولا يشق بينهما.

وإذا مشى مع الشيخ اثنان فاكتنفاه فقد رجَّح بعضهم أن يكون أكبرهما عن يمينه وإن لم يكتنفاه تقدم أكبرهما وتأخر أصغرهما.

وإذا صادف الشيخ في طريقه بدأه بالسلام، ويقصده بالسلام إن كان بعيدًا ولا يناديه ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرب منه ويتقدم عليه ثم يسلم، ولا يشير عليه ابتداء بالأخذ في طريق حتى يستشيره ويتأدب فيما يستشيره الشيخ بالرد إلى رأيه.

ولا يقول لما رآه الشيخ وكان خطأ هذا خطأ ولا هذا ليس برأي، بل يُحسن خطابه في الرد إلى الصواب كقوله يظهر أن المصلحة في كذا، ولا يقول الرأي عندي كذا وشبه ذلك.

(٢) سواء كان الكلام متعلقاً بالدرس أو لا لأن كثرة الكلام عيب يُسّودُ القلب.

ولا يسأل شيئاً عند ملالته(١) ويراعي الوقت(٢) ولا يدق الباب(٣) بل يصبر حتى يخرج(٤) فالحاصل أنه يطلب رضاه ويجتنب سخطه ويمتثل أمره في غير معصية الله تعالى فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(٥) كما قال النبي عليه الصلاة والسلام (إن شر الناس من يذهب دينه لدنيا غيره(٦) ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلق به(٧).

---

(١) أي عند عدم نشاطه.

(٢) أي الذي عين للدرس.

(٣) أي باب داره أو باب حجرته إذا كان مقفلا.

(٤) أي الأستاذ.

جاء في مناقب أبي حنيفة رضي الله عنه: أنه كان ينتظر على باب شيخه حماد بن أبي سليمان ولا يدق الباب حتى يخرج شيخه.

وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يجلس على باب المعلم تضربه الشمس والريح ولا يدق الباب حتى يخرج المعلم.

(٥) حديث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده.

(٦) رواه ابن ماجه عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ (من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره) وحسنه البوصيري في الزوائد وأخرجه أبو داود الطيالسي من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن من أسوأ الناس منزلة من أذهب آخرته بدنيا غيره) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان والخرائطي في مساوي الأخلاق والقظاعي في مسنده وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض.

قيل لعبدالله بن المبارك من السفل :قال من باع دينه لدنيا غيره.

(٧) من جهة النسب: كالأب والأم وإن علا وأولاده وإن سفل والأخوة والأخوات والعم والعمات والأخوال والخالات.

أو من جهة السبب: كالتلامذة والأصدقاء.

وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين صاحب الهداية رحمة الله عليه يحكي(١) أن واحداً من كبار أئمة بخارى كان يجلس مجلس الدّرس وكان يقوم في خلال الدرس أحياناً فسألوه عن ذلك فقال إن ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكّة(٢) ويجيء أحياناً إلى باب المسجد فإذا رأيته أقوم له تعظيماً لأستاذي، وكان القاضي الإمام فخر الدين الأرسابندي رحمه الله(٣) كان رئيس الأئمة في مرو وكان السلطان يحترمه غاية الاحترام وكان يقول إنما وجدت في هذا المنصب بخدمة الأستاذ فإني كنت أخدم الأستاذ القاضي الإمام أبي زيد الدبوسي(٤) وكنت أخدمه وأطبخ طعامه ولا آكل منه شيئاً وكان الشيخ الإمام الأجلّ شمس الأئمة الحلواني(٥) رحمة الله عليه قد كان يخرج من بخارى وسكن في بعض القرى أياماً لحادثةٍ وقعت له وقد زاره تلاميذه غير الشيخ الإمام القاضي شمس الأئمة بكر الزرنجري(٦) رحمه الله تعالى.

---

(١) خبر كان.

(٢) أي الطريق.

(٣) **هو فخر القضاة**: محمد بن الحسين الأرسابندي من قرى مرو قال الذهبي في تاريخ الإسلام برع حتى صار يضرب به المثل في علم النظر سنة توفي ٥١٢هـ في ربيع الأول.

(٤) **هو الإمام الكبير**: عبيد الله وقيل عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي.

قال السمعاني: كان من كبار الحنفية الفقهاء ممن يضرب به المثل توفي ٤٣٠هـ ودبوسة بلدة بين بخارى وسمرقند.

(٥) إمام الحنفية في وقته شمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الحلواني منسوب إلى الحلوى وبيعها.

قال الذهبي: مفتي بخارى وعالمها ت ٤٥٦هـ.

(٦) **هو شمس الأئمة مفتي ما وراء النهر**: بكر بن محمد بن علي بن الفضل بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الأنصاري الجابري من ولد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما البخاري الزرنجري وزرنجره من قرى بخارى الكبار توفي ١٩ شعبان ٥١٢هـ.

فقال له حين لقيه لماذا لم تزرني فقال له كنت مشغولا بخدمة الوالدة فقال ترزق العمر ولا ترزق رونق الدرس وكان ذلك كذلك فإنه كان يسكن في أكثر أوقاته في القرى ولم ينتظم له الدرس(١) فمن تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع بالعلم إلا قليلاً.

إن المعلم والطبيب كليهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما(٢)

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واقنع بجهلك إن جفوت معلما

وحكي أن الخليفة هارون الرشيد(٣) بعث ابنه إلى الأصمعي(٤) ليعلمه العلم والأدب فرآه يوماً يتوضأ ويغسل رجله وابن الخليفة يصبُ الماء على رجليه فعاتب الأصمعي في ذلك بقوله إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدبه فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل بالأخرى رجلك.

---

(١) أي تعليمه لأن كثرة الطالبين في المدن لا في القرى.

(٢) الغالب على الربانيين النصح ولا ينتظرون شيئا من الدنيا لتجردهم لله فما في هذا البيت محمول على البعض فافهم ولا تكن من الغافلين.

(٣) ولد سنة ١٤٨هـ وتوفي سنة ١٩٣هـ كما في السير للذهبي.

(٤) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي ثقة توفي ٢١٦هـ.

ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب فينبغي لطالب العلم ألا يأخذ الكتاب إلا بطهارة(١) وحكي عن الشيخ شمس الأئمة الحلواني رحمة الله عليه أنه قال إنما نلت هذا العلم بالتعظيم فإني ما اخذت الكتاب والكاغد(٢) إلا بطهارة والشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي(٣) رحمة الله تعالى عليه كان مبطوناً وكان يكرر في ليلة فتوضأ في تلك الليلة سبع عشرة مرة لأنه كان لا يكرر إلا بالطهارة وهذا لأن العلم نور والوضوء نور فيزداد نور العلم به.

---

(١) والمحافظة على دوام الطهارة شأن المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم (ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) رواه مالك.

(٢) اسم للورق قبل ان يكتب فيه.

قال أبو البقاء: لا يقال قرطاس إلا إذا كان مكتوبا وإلا فهو طرس وكاغد ا.هـ الكليات لأبي البقاء.

(٣) هو الإمام الكبير: محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي شمس الأئمة صاحب المبسوط لازم شمس الأئمة الحلواني وتخرج به توفي سنة ٤٩٠هـ وكان إماماً حجة متكلماً فقيهاً أصولياً محدثاً مناظراً مجاهداً رحمه الله رحمة الأبرار.

ومن التعظيم الواجب للعلم ألا يمد رجله إلى الكتاب ويضع كتب التفسير فوق سائر الكتب تعظيما ولا يضع شيئاً آخر وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين(١) رحمه الله تعالى يحكي عن شيخ من المشايخ أن فقيهاً كان وضع المحبرة(٢) على الكتاب فقال له بالفارسية برنيابى(٣) وكان أستاذنا القاضي الإمام الأجل فخر الإسلام المعروف بقاضي خان رحمه الله تعالى يقول إن لم يرد بذلك الاستخفاف(٤) فلا بأس بذلك والأولى أن يتحرز عنه(٥).

---

(١) صاحب الهداية رحمه الله.

(٢) بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الباء والراء شيء يوضع فيه المداد.

(٣) بر بفتح الباء بمعنى الثمر نِ بكسر النون حرف نفي يابيْ بمد الياء الأولى وسكون الثانية مضارع مخاطب يعني لا تجد ثمرة علمك والفعل يحتمل الإخبار والإنشاء.

(٤) لأن الاستخفاف والعياذ بالله حرام ويدخل صاحبه في باب خطير من أبواب الكفر إذا تعمد ذلك وكانت نيته فاسدة والعياذ بالله.

(٥) لما فيه من إيهام الاستخفاف والله المستعان.

وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مربعاً فإنه تقطيع أبي حنيفة(١) رضي الله عنه وهو أيسر إلى الرفع والوضع والمطالعة(٢) وينبغي ألا يكون في الكتابة شيء من الحمرة(٣) فإنها صنع الفلاسفة(٤) لا صنيع السلف ومن مشايخنا من كره استعمال المركب الأحمر(٥) وقيل لا بأس به(٦)

---

(١) أي تقطيع كتب أبي حنيفة رضي الله عنه أو التقطيع الذي اختاره أبو حنيفة رضي الله عنه وخرج بالمربع المدور.

(٢) مع أن فيه متابعة للإمام الأعظم رضي الله عنه ومثله يقتدىٰ به رحمه الله.

(٣) كتابه أو علامة من المداد الأحمر.

(٤) أي ما يصنعونه ويفعلونه ومن تشبه بقوم فهو منهم وهم من أهل اللغة اليونانية.

(٥) كتابة وخطاً وتعشيراً وغير ذلك لكونه من صناعة الفلاسفة.

(٦) والصواب التفصيل وهو عدم الكراهة عند الاحتياج إلىٰ ذلك ككتابة الأبواب والفصول والعلامات فوق السطور وما شابه ذلك مما يحتاج إلىٰ تمييز كالعشر والجزء والحزب والوقف والابتداء ووضع الخط تحت المسائل المهمة وما إلىٰ ذلك والكراهة عند عدم الاحتياج والله أعلم.

ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء(١) ومن يتعلم منه(٢) والتملق(٣) مذموم إلا في طلب العلم فإنه ينبغي أن يتملّق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم(٤) وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة(٥) وإن سمع المسألة الواحدة أو الكلمة الواحدة ألف مرة قيل من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة فليس بأهلٍ للعلم(٦) وينبغي لطالب العلم ألا يختار نوعاً من العلم بنفسه بل يفوِّض أمره إلى الأستاذ فإن الأستاذ قد حصل له التجارب في ذلك فكان أعرف بما ينبغي لكل أحد وما يليق بطبيعته(٧)

---

(١) لأنهم عونه على تحصيل العلم الذي هو أفضل العبادات.

(٢) يعني الأستاذ.

(٣) التملق التودد والتلطف الشديد وأصله التليين وقيل التملق الترفق والمداراة ا.هـ ملخصاً من اللسان.

(٤) العلم الذي هو أفيد الفوائد.

(٥) بالجد والاشتياق .

(٦) لقصور اشتياقه ولعدم شرافة العلم عنده لأن من أحب شيئاً كلما ازداد ذكره ازداد حبه وشوقه إليه.

كما قيل في مدح إمامنا الأعظم:

أعد ذكر نعمان لنا إنَّ ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

أي تنتشر رائحته كالمسك.

(٧) أي بعقل كل واحد منهم فإن العقول مختلفة بالقلة والكثرة والحدة والبطاءة فالأستاذ الحاذق يعرف ذلك بسابق تجربته وبعظيم فراسته.

وكان الشيخ الإمام الأجل الأستاذ برهان الحق والدين رحمه الله تعالى يقول كان طالب العلم في الزمان الأول يفوض أموره في التعلم إلى أستاذه وكان يصل إلى مقصوده ومراده والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه وكان يحكى أن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله كان بدأ بكتاب الصلاة على محمد بن الحسن رحمه الله(١) فقال له محمد بن الحسن رحمه الله اذهب وتعلم علم الحديث لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه فطلب علم الحديث فصار فيه مقدماً على جميع أصحاب الحديث.

---

(١) هذه لا تصح لأن وفاة محمد بن الحسن ١٨٩هـ وولادة البخاري ١٩٤هـ والصحيح أن ذلك حصل له مع أبي حفص الكبير تلميذ محمد بن الحسن.

وينبغي لطالب العلم ألا يجلس قريباً من الأستاذ عند السبق بغير ضرورة(١) بل ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر القوس فإنه أقرب إلى التعظيم وينبغي لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة(٢) فإنها كلاب معنوية(٣) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة)(٤) وإنما يتعلم الإنسان بواسطة الملك(٥) والأخلاق الذميمة تعرف في كتاب الأخلاق وكتابنا هذا لا يحتمل بيانها وليحترز خصوصاً عن التكبر فمع التكبر لا يحصل العلم قيل:

العلم حرب للفتى المتعالي   كالسيل حرب للمكان العالي(٦)

وقيل:

بجدٍّ لا بجدٍّ كل مجد(٧)   فهل جدٌّ بلا جدٍّ بمجدي(٨)

فكم عبدٍ يقوم مقام حر(٩)   وكم حرٍ يقوم مقام عبد(١٠)

---

(١) كازدحام أو ضيق المكان.
(٢) في الشرع كالكبر والحسد والحقد والرياء والعجب.
(٣) أي شبيه بالكلاب الصورية في نفرة الملائكة عنها.
(٤) متفق عليه.

والمعنى: أن من كان في قلبه شيء من الأخلاق الذميمة لا يدخل نور العلم إليه كما أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة.

(٥) أي بواسطة إلقاء الملك وهذا في بعض العلوم الربانية.

(٦) العلم حرب أي مثل عدو للمتعالي أي للمتكبر في عدم المقارنة كالسيل أي كماء المطر حرب أي مثل عدو للمكان العالي أي المرتفع فلا يستقر الماء عليه والعلم لا يقارن المتكبر ولا يستقر عليه.

(٧) الجد الأول يفتح الجيم بمعنى البخت والحظ العالي السعيد والثاني بكسر الجيم بمعنى الجهد والسعي.

(٨) استفهام إنكاري أي لا يكون الجد بفتح الجيم بلا اقتران الجد بكسر الجيم مجد أي نافع.

(٩) في الرتبة والشرف.

(١٠) في الدناءة والرذالة.

الفصل الخامس
في الجد والمواظبة والهمة(١)

ثم لابد من الجدِّ والمواظبة والملازمة لطالب العلم وإليه إشارة في القرآن وهي قوله تعالى ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ **(مريم) وقوله تعالى** ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ **(العنكبوت) وقد قيل(٢) من طلب شيئاً وجدَّ وجدَ(٣) ومن قرع الباب ولجَّ ولج(٤) وقيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى(٥) وقيل يحتاج في التعلم والتفقه إلى الجد ثلاثة المتعلم والأستاذ والأب إن كان في الأحياء.**

---

(١) **الجد**: الكسب والسعي.
والمواظبة: تعني المداومة والهمة هي استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور.

ومن وصايا العلامة العلموي رحمه الله في كتابه المعيد في أدب المفيد والمستفيد: وينبغي للطالب بل يتعين أن تكون همته في طلب العلم عالية فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها ولا يشغله الأمل والتسويف عنها فإن للتأخير آفات ولأنه إذا حصّلها في الزمان الحاضر نفعته في الزمان الآت ويغتنم وقت الفراغ والنشاط ويجتهد في

الاستنتاج والاستنباط قبل عوارض البطالة وموانع الرئاسة والملالة ا.هـ.

(٢) أي في هذا المعنى.

(٣) من طلب شيئا وجد أي اجتهد وسعى سعياً جميلا لتحصيله وجد أي وجد مطلوبه وصادفه.

(٤) ومن قرع الباب أي دق باب المطلوب ولج بتشديد الجيم أي لزم ولم يفارق ولج أي دخل فيه ووصل إلى مطلوبه.

(٥) من العناء وما مصدريه أي بقدر عنائك ومشقتك تنال أنت ما تتمنى أي تطلب.

أنشدني الشيخ الإمام الأستاذ سديد الدين الطرازي للإمام الشافعي(١) رضي الله عنه:

الجد يدني كل أمرٍ شاسعٍ والجدُّ يفتح كلَّ بابٍ معلق(٢)
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يُبلى بعيش ضيِّق(٣)
ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمقِ(٤)
لكنَّ من رزق الحجى حرم الغنى ضدان يفترقان أيَّ تفرُّقِ(٥)

---

(١) **هو الإمام الأعظم:** ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة المتبوعين رضي الله عنهم توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ.

(٢) يدني من الإدناء أي يقرب وشاسع أي بعيد.

(٣) وأحق مبتدأ أي أليق خلق أي مخلوق امرؤ خبر المبتدأ.

(٤) ومن الدليل خبر مقدم يدل على القضاء أي قضاء الله تعالى وحكمه يضيق عيش طالب العلم وسعة عيش الجاهل إلى الكسلان بؤس مبتدأ مؤخر والبؤس الشدة واللبيب العاقل والمعنى أنه لو لم يكن هذا بحكم الله لكان الأمر بالعكس .

(٥) الحجى العقل والمراد هنا العقل الكامل حرم الغنى لصرف همته إلى الآخرة ولإدراكه حقارة الدنيا ضدان أي الدنيا والأموال والعلم والأعمال.

وأنشدت لغيره:

تمنيت أن تُمسي فقيهاً مناظراً بغير عناء فالجنون فنون(١)

وليس اكتساب المال دون مشقةٍ تحملها فالعلم كيف يكون

قال أبو الطيب(٢)

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

---

(١) تمسي تصير مناظراً مباحثاً بغير عناء بغير مشقة وتعب فالجنون فنون أقيم علة الجزاء مقامه أي فأنت مجنون في هذا التمني والجنون فنون أي أنواع وإنما كان هذا جنونا لأن علم الفقه من المطالب العالية والمطلوب إذا اشتد علوه اشتد عناؤه فمن أراد تحصيله بلا عناء فهو مجنون.

(٢) أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي شاعر الزمان توفي سنة ٣٥٤هـ.

ولا بد لطالب العلم من سهر الليالي قيل لهذا المعنى شعراً:

بقدر الكد تكتسب المعالي	**ومن طلب العلا سهر الليالي(١)**
تروم العز ثم تنام ليلا	**يغوص البحر من طلب الَّلآلي(٢)**
علو الكعب بالهمم العوالي	**وعز المرء في سهر الليالي(٣)**
ومن رام العلا من غير كدٍّ	**أضاع العمر في طلب المحال(٤)**
تركت النوم ربي في الليالي	**لأجل رضاك يا مولى الموالي(٥)**
فوفقني إلى تحصيل علمٍ	**وبلغني إلى أقصى المعالي(٦)**

وقيل: اتخِذِ الليل جملاً تدرك به أملا(٧).

---

(١) **الكد**: اللام عوض عن المضاف إليه والباء متعلق بفعل مؤخر أي بقدر مشقتك والمعالي المراتب العالية.

(٢) **تروم العز**: تقصد الكون عزيزاً غالباً على أقرانك ثم تنام ليلاً فأنى تنال العز وهذه حالك من فاعل يغوص.

اللآلي: جمع لؤلؤ.

يعني: كما لا يستخرج اللؤلؤ من البحر بلا غوص ولا كد لا يحصل العلم بلا ترك نوم ولا مشقة.

(٣) **علو الكعب**: أي كون مقام المرء شريفاً عاليا وعلو مبتدأ خبره بالهمم جمع همة والعوالي جمع عالية صفة الهمم.

(٤) **رام**: قصد.

والكد: التعب والمشقة.

المحال: أي عادة فالمحال العادي حصول العلم بلا تعب.

(٥) **ربي**: أي يا ربي.

لأجل رضاك: أي لأجل تحصيل رضاك.

(٦) بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين (آمين).

(٧) **اتخذ الليل جملا**: أي كالجمل.

تدرك: مضارع مجزوم بأن المقدرة أي إن تجعل الليل كالجمل وتركب عليه تصل به أي بسبب جعلك الليل كالجمل.

أملاً: أي مقصودك فالتنوين عوض عن المضاف إليه.

قال المصنف(١) رحمه الله تعالى وقد اتفق لي نظم في هذا المعنى:

من شاء أن يحتوي آماله جُمَلاً فليتخذْ ليلهُ في دركها جَمَلاً(٢)

قلل طعامك كي تحظى به سهراً إن شئت يا صاحبي أن تبلغ الكَمَلَا

وقيل من أسهر نفسه بالليل فقد فرح قلبه بالنهار(٣)

---

(١) أراد نفسه بطريق تنزيل نفسه منزلة الغائب هضماً لنفسه.

(٢) **من شاء أن يحتوي:** أي يجتمع عنده.

آماله: جمع أمل أي مقاصده.

جملاً: جمع جملة.

فليتخذ: أي من ليله في دركها في نيل المقاصد جملا.

أقلل أنت طعامك كي تحظى تنال بسبب إقلال طعامك.

الكملا: بفتح الكاف والميم وبألف الإشباع ولام التعريف بمعنى الكمال أي كل الكمالات.

والجزاء: محذوف تقديره فأقلل طعامك.

(٣) وقيل من أسهر نفسه بالليل لمذاكرة العلم وتحضير الدرس فرح قلبه في النهار لفهمه للدرس ورضى المعلم عنه.

ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك(١).

قيل في هذا المعنى شعراً:

يا طالب العلم باشر الورعا   وجنِّب النوم واترك الشبعا(٢)

داوم على الدرس لا تفارقه   فالعلم بالدرس قام وارتفعا

فيغتنم أيام الحداثة وعنفوان(٣) الشباب كما قيل:

بقدر الكدِّ تعطى ما تروم(٤)   فمن رام المنى(٥) ليلاً يقومُ

وأيام الحداثة فاغتنمها   ألا إن الحداثة لا تدومُ

---

(١) أي كثير البركة والخير فينبغي لطالب العلم أن لا يضيعها بالنوم أو اللغو.

فإن أكثر طلاب زماننا يضيعون ما بين العشاءين باللغو ووقت السحر بالنوم فلا يبارك لهم في العلم.

(٢) **باشر الورعا**: أي الزم الورع والألف فيه للإشباع.

والورع: التحرز عن الشبهات فضلاً عن المحرمات.

وجنب النوم: أمر من التجنيب أي بعد النوم عن نفسك.

واترك الشبعا: الألف فيه للإشباع **والشبع**: ضد الجوع بمعنىٰ امتلاء البطن.

(٣) **العنفوان**: بضم العين والفاء وبسكون النون بينهما وبمد الواو أي أوانه لأن الحواس والقوىٰ الدراكة تامة قوية في أزمنة الشباب والحداثة فيحصل العلم بسهولة فيهما.

(٤) ما تطلبه.

(٥) **جمع منية والمنايا**: المقاصد.

ولا يجهد نفسه جهداً يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل بل يستعمل الرفق في ذلك والرفق أصل عظيم في جميع الأشياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغض على نفسك عبادة الله تعالى فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)(١) وقال عليه الصلاة السلام(نفسك مطيتك فارفق بها)(٢) فلا بد للطالب من الهمة العالية فإن المرء يطير بهمته كما أن الطير يطير بجناحيه وقال أبو الطيب بهذا المعنى:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ وشعب الإيمان من حديث عبد الله بن عمرو رواه البزار عن جابر وأخرجه المروزي في زيادته علىٰ الزهد لا بن المبارك والحاكم في المعرفة والبيهقي.

ورواه البيهقي من حديث عائشة وللحديث طرق كثيرة لا تخلو من ضعف.

والجملة الأولى أخرجها أحمد بإسناد حسن وهي: أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق.

وللحديث شاهد صحيح رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الدين يسر ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة).

(٢) لم أجده مرفوعاً وعند ابن المبارك في الزهد أخبرنا سعيد بن زيد عن رجل بلغه عن دجاجة وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان أبو ذر يعتزل الصبيان لئلا يسمع أصواتهم فيقيل فقيل له فقال (إن نفسي مطيتي وإن لم أرفق بها لم تبلغني).

وعند البيهقي في شعب الإيمان: أن دجاجة كان من أصحاب علي بن أبي طالب وإنه قال اتخذ أبو الدرداء ظلة فقيل له في ذلك فقال (إن نفسي مطيتي فإن لم أرفق بها لم تبلغني).

أقول: ولهذا اللفظ الذي أورده المصنف لم أجده مرفوعا شاهد صحيح أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي جحيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لنفسك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فأعطِ كل ذي حق حقه).

والرأس في تحصيل الأشياء الجد والهمة العالية فمن كانت همته حفظ جميع كتب محمد بن الحسن(١) واقترن بذلك(٢) الجد والمواظبة فالظاهر أنه يحفظ أكثرها أو نصفها(٣) فأما إذا كانت له همة عالية ولم يكن له جد ولم تكن له همة عالية فلا يحصل له علم إلا القليل.

وذكر الشيخ الأجل الإمام الأستاذ رضي الدين النيسابوري رحمه الله في كتاب مكارم الأخلاق أن ذا القرنين لما أراد أن يسافر ليستولي على المشرق والمغرب شاور الحكماء في ذلك وقال كيف أسافر لهذا القدر من الملك فإن الدنيا قليلة فانية وملك الدنيا أمر حقير فليس هذا من علو الهمة فقال الحكماء سافر ليحصل لك ملك الدنيا والآخرة، فقال هذا حسن(٤)

---

(١) هو الإمام الرباني مدون المذهب النعماني وصاحب أبي حنيفة الثاني: محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه توفي ١٨٩هـ.

(٢) أي بالهمة وتذكير الإشارة لكون الهمة بمعنى القصد.

(٣) الضميران راجعان إلى الكتب.

(٤) فعلم من قوله هذا حسن أنه لا بد لتحصيل الطالب من الهمة العالية والجد والمواظبة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها)(١)

وقيل:

فلا تعجل بأمرك واستدمه　　فما صَلّى عصاك كمستديم(٢)

قال أبو حنيفة لأبي يوسف رحمهما الله تعالى كنت بليداً فأخرجتك المواظبة عن البلادة وإياك والكسل فإنه شؤم وآفة عظيمة.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في السنن والشعب وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك وهو حديث صحيح.
(٢) فما صلى: ما نافيه والفعل من التصلية بمعنى التسديد أي ما سدد واستحكم عصاك المعوج أحد كمستديم أي مثل من يطلب تسديده دائما فإن من راقبه كلما أعوج لينه وسدده فيحصل سداده كذلك أنت تطلب العلم وتستديم في تحصيله فيحصل مطلوبك.

قال الشيخ الإمام أبو نصر الصفار الأنصاري رحمه الله تعالى:

يا نفس يا نفس لا ترخي عن العمل   في البِرِّ والعدل والإحسان في مهل(١)
فكل ذي عمل في الخير مغتبط   وفي بلاء وشؤم كل ذي كسلِ

قال المصنف وقد اتفق لي في هذا المعنى نظم:

دعِ نفسي التكاسل والتواني   وإلا فاثبتي في ذا(٢) الهوان
فلم أر للكسالى الحظ يُعطى   سوى ندم وحرمان الأماني(٣)

---

(١) يا نفس: بكسر السين فيهما إذ أصلها بالإضافة إلى ياء المتكلم فحذف اكتفاء بالكسر والتكرار للتأكيد.

لا ترخي: من الإرخاء نهي عن الكسل في عمل الخير وعدم سقوط الياء إما للضرورة أو على لغة من جعل علامة الجزم سقوط الحركة في المعتل كالصحيح أي لا تكسل في مهل بفتح الميم وسكون الهاء وهو الرفق والسكينة وقد يحرك الهاء كما هنا للوزن.

(٢) على لغة من جعل إعراب الأسماء الخمسة بالألف مطلقاً وفي بعض نسخ الكتاب في ذي على الإعراب المشهور.

(٣) أي لم أعلم للمتكاسلين في تحصيل العلم نصيباً يعطى لهم غير الندامة والمحرومية عن العلم والعمل بمقتضاه.

وقيل:

كم من حياء وكم عجز وكم ندم جم تولد للإنسان من كسل(١)

إياك عن كسل في البحث وعن شبه ما قد علمت وما قد شذ عنك سل(٢)

وقد قيل الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله.

---

(١) **كم**: خبرية من حياء تمييز وكذا فيما بعده.

جم: صفة مشبهة بمعنى كثير تأكيد لمعنى كم أي كثير من حياء عند الخطابة والإمامة والوعظ وغيرها وعجز كثير عن أداء المذكورات وندم كثير عند العجز وفي القبر والقيامة تولد للإنسان من كسل.

(٢) **إياك**: اتق.

في البحث: تفتيش حالك.

وعن شبه: بكسر الشين وفتح الباء جمع شبهة.

ما قد علمت: أي علمته.

وما قد شذ عنك: غاب علمه من أمر من السؤال لذوي الاختصاص عنه.

فينبغي للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجِدِّ والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم فإن العلم يبقى ببقاء المعلومات والمال يفنى كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

رضينا قسمة الجبار فينا　　لنا علم وللجهال مال

فإن المال يفنى عن قريب　　وإن العلم يبقى لا يُزال

والعلم النافع يحصل به حسن الذكر(١) ويبقى ذلك(٢) بعد وفاته فإنه حياة أبدية أنشدني الشيخ الإمام الأجل ظهير الدين مفتي الأئمة الحسن بن علي المعروف بالمرغيناني نظم:

الجاهلون فموتى(٣) قبل موتهم　　والعاملون وإن ماتوا فأحياء

---

(١) أي الذكر الحسن فإضافته إضافة الصفة إلى الموصوف.

(٢) أي الذكر الجميل.

(٣) الفاء في الخبر على تضمين المبتدأ معنى الشرط أي الذين جهلوا ولم يعرفوا علوم أحوالهم فهم كالموتى والجمادات.

وأنشدنا شيخ الإسلام برهان الدين (١)

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور(٢)
وإن امرأً لم يحيْ بالعلم ميتٌ فليس له حتى النشور نشورُ(٣)

وقال غيره:

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميمٌ(٤)
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى يظنُّ من الأحياء وهو عديمُ

وقال آخر:

حياة القلب علم فاغتنمه وموت القلب جهلٌ فاجتنبه

---

(١) صاحب الهداية رحمه الله.
(٢) **وفي الجهل**: خبر مقدم موت مبتدأ مؤخر.
لأهله: أي لأهل الجهل.
فأجسامهم: أي الجاهلين.
قبل دخول القبور قبور: أي كالداخلة في القبور في عدم الانتفاع بالمكث.
(٣) **أمر**: اسم إن والخبر ميت فليس له أي كائنا لأمر جاهل.
حتى النشور: أي القيام والبعث من القبر أو إلى الموت.

والنشر في التراب: نشور أي انتباه عن الغفلة وفي بعض النسخ حين مكان حتى وهو من تغيير النساخ أو بمعنى ليس للجاهل حين البعث بعث منتفع به بل هو ضرر عليه.

(٤) يرى كثير من العلماء أن أجساد العلماء الربانيين لا تبلى فليست برميم وكذلك الشهداء والأولياء والصديقين وحفاظ القرآن والمؤذن في سبيل الله والله أعلم.

وأنشدنا الشيخ الأستاذ شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله(١):

ذوُو العلم أعلى رتبة في المراتب ... ومن دونه عز العلى في المواكب

فذو العلم يبقى عزه متضاعفاً ... وذو الجهل بعد الموت تحت التيارب(٢)

فهيهات لا يرجو مداه من ارتقى ... رُقى ولي الملك والي الكتائب

سأملي عليكم بعض ما فيه فاسمعوا ... فبي حصر عن ذكر كل المناقب

هو النور كل النور يهدي عن العمى ... وذو الجهل مر الدهر بين الغياهب(٣)

هو الذروة الشماء تحمي من التجا ... إليها ويمشي آمناً في النوائب

به ينتجي والناس في غفلاتهم ... به يرتجي والجسم بين الترائب(٤)

به يشفع الإنسان من راح عاصياً ... إلى درك النيران شر العواقب(٥)

فمن رامه رام المآرب كلها ... ومن حازه قد حاز كل المطالب(٦)

---

(١) صاحب الهداية رحمه الله.

(٢) جمع تيرب بمعنى التراب.

(٣) جمع غيهب وهو الظلمة الشديدة.

(٤) به أي بالعلم ينتجي أي يتخلص صاحب العلم عن عذاب الآخرة في الدنيا به أي بالعلم يرتجي العالم الأمن من العذاب.

(٥) به أي العالم بسبب العلم يشفع في من راح من الناس عاصياً إلى درك النيران والعياذ بالله ولا شك ان الذهاب إلى النيران شر العواقب.

(٦) فمن رامه أي طلب العلم رام المآرب كلها أي طلب المطالب كلها لأنه مطلب يندرج فيه جميع مطالب الدنيا والآخرة ومن حازه أي العلم النافع قد حاز كل المطالب.

هو المنصب العالي فيا صاحب الحجا   إذا نلته هون بفوت المناصب(١)

فإن فاتك الدنيا وطيب نعيمها   فغمض فإن العلم خير المواهب(٢)

وأنشدت أيضاً لبعضهم شعراً:

الفقه أنفس شيء أنت ذاخره   من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

فاكسب لنفسك ما أصبحت تجهله   فأول العلم إقبال وآخره(٣)

وقيل في هذا المعنى:

إذا ما اعتز ذو علم بعلم   فعلم الفقه أولى باعتزاز

فكم طيبٍ يفوح ولا كمسكٍ   وكم طير يطير ولا كبازي

وكفى بلذة العلم والفقه والفهم(٤) داعياً وباعثاً للعاقل على تحصيل العلم وقد يتولد الكسل من كثرة البلغم والرطوبات وطريق تقليله تقليل الطعام.

---

(١) **الحجا**: العقل إذا نلته أي العلم.
هون: اتخذ هيناً وسهلاً بفوت المناصب الدنيوية لأنها فانية.
(٢) **فغمض**: أمر من التغميض عينيك.
هذا: كناية عن عدم الالتفات والاشتياق وعدم الحزن على هلاكها.
والمواهب: جمع موهبة بمعنى العطية.
(٣) **وآخره**: إقبال أيضاً في الآخرة.
(٤) بها درس وقرأ ونظر.

قيل اتفق سبعون نبياً عليهم الصلاة والسلام على أن أكثر النسيان من كثرة البلغم وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء وكثرة شرب الماء من كثرة الأكل، والخبز اليابس يقطع البلغم وكذلك أكل الزبيب على الريق(١) ولا يكثر منه حتى لا يحتاج إلى شرب الماء(٢) فيزيد البلغم والسواك يقلل البلغم ويزيد في الحفظ والفصاحة فإنه سنة سنيَّةٌ(٣) ويزيد ثواب الصلاة(٤) وقراءة القرآن(٥)

---

(١) أي على الجوع وقت الصباح لحرارته ويقال من أكل الخبز مع الزبيب لا يحتاج إلى طبيب.
(٢) لأن الزبيب لحلاوته يورث الحرارة فيشرب الماء الكثير.
(٣) أي رفيعة مؤكدة.

وقد جاء في طلب السواك أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) علقه البخاري في صحيحه ووصله أحمد وابن حبان وهو حديث صحيح.
(٤) **قال صلى الله عليه وسلم** (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) رواه الشيخان.

وعن عائشة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بلا سواك) رواه أبو نعيم من حديث الحميدي بإسناد كل رجاله ثقات قاله الحصني في كفاية الأخيار.

(٥) **روى البزار بإسناد جيد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** (إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه أي من فم القارئ أي شيء إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقراءة).

روى بن ماجه عن ابن عباس موقوفاً (إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك).

وروى البيهقي عن سمرة مرفوعاً (طيبوا أفواهكم بالسواك فإنها طرق القرآن).

وكذلك القيء يقلِّل البلغم والرطوبات وطريق تقليل الأكل التأمل في منافع قلة الأكل وهي الصحة(١) والعفة(٢) والإيثار(٣) وقد قيل:

فعار ثم عار ثم عار　　شقاء المرء من أجل الطعام

---

(١) أي صحة البدن فكثرة الطعام من أسباب كثرة الأسقام وقلته من أسباب دوام الصحة مع مراعاة الاعتدال في التقليل.

عن المقداد بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أي التورع والتحرز عن الحرام كالزنا واللواط والاستمناء باليد إذ كثرة الطعام تقوي الشهوة وقلته تكسر الشهوة.

(٣) أي اختيار الغير على نفسه بالتصدق بها فضل وهذا أمر حسن مدح الله به الأنصار في كتابه حيث قال﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(الحشر:٩).

وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال (ثلاثة نفر يبغضهم الله تعالى من غير جرم الأكول والبخيل والمتكبر(١) وتأمل في مضار كثرة الأكل وهي الأمراض(٢) وكلالة الطبع(٣) وقيل البطنة تذهب الفطنة.

حكي عن جالينيوس أنه قال: الرمان نفع كله والسمك ضرر كله وقليل السمك خير من كثير الرمان وفيه أيضاً إتلاف المال(٤).

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ وقد جاء في ذم الأكول أحاديث منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الكهف) رواه البيهقي واللفظ له.

ورواه البخاري ومسلم باختصار قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة.

وعن أبي برزة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنما أخشى عليكم شهوات الغيِّ في بطونكم وفروجكم ومظلات الهوى) رواه أحمد والطبراني وبعض أسانيدهم رجاله ثقات قاله المنذري.

وعند ابن حبان في صحيحه (ثلاثة يبغضهم الله الشيخ الزاني والبخيل والمتكبر).

(٢) التي تهلك البدن وفي الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه وقد سبق.

(٣) أي ضعف العقل وغلبة النفس على صاحبها .

(٤) أي الإسراف قال تعالى ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف).

فدل على أن الإسراف حرام ولأنه إنما يأكل لمنفعة نفسه ولا منفعة في الأكل فوق الشبع بل فيه مضرة فيكون ذلك بمنزلة إلقاء الطعام في مزبلة أو شراً منها ولأن ما يزيد على مقدار حاجته من الطعام فيه حق غيره فإنه يسد به جوعته إذا أوصله إليه بعوض أو بغير عوض فهو في تناوله جان على حق الغير وذلك حرام.

والأكل فوق الشبع ضرر محض(١) ويستحق به العقاب في الدار الآخرة والأكول بغيض في القلوب(٢) وطريق تقليل الأكل أن يأكل(٣) الأطعمة الدسمة ويقدم في الأكل الألطف(٤) والأشهى(٥) ولا يأكل مع الجيعان إلا إذا كان له غرض صحيح في كثرة الأكل بأن يتقوى به على الصيام والصلاة والأعمال الشاقة وللموافقة للضيف(٦).

---

(١) فيكون كمن يجرح نفسه وذلك لا يجوز.

(٢) والأصل في هذا ما أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر قال: (تجشأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة).و

في المصباح المنير: تجشأ الإنسان تجشؤاً والاسم الجُشاء وهو صوت من ريح يحصل من الفم عند حصول الشبع.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة) رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها (أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وسنده ضعيف ولذلك كان حال الصحابة رضي الله عنهم التقلل.

عن اللجلاج رضي الله عنه قال (ما ملأت بطني طعاماً منذ أسلمت مع رسول الله آكل حسبي وأشرب حسبي) يعني قوتي رواه الطبراني بإسناد لا بأس به والبيهقي قاله المنذري.

(٣) الجائع.

(٤) أي الذي له زيادة لطافة وخفة وهضم.

(٥) أي الذي له زيادة لذة لئلا يؤدي إلى زيادة الأكل لأن الإنسان إذا وجد بعد الشبع طعاماً لذيذا يأكله أيضاً فيؤدي إلى زيادته.

(٦) الإكثار من الأكل مذموم إلا أن بعض المتأخرين استثنى من ذلك حالة وهو أنه إذا كان للمستزيد من الأكل غرض صحيح في الأكل فوق الشبع فحينئذ لا بأس به بأن يأتيه ضيف بعد تناوله مقدار حاجته فيأكل مع ضيفه لئلا يخجل وكذا إذا أراد أن يصوم من الغد فلا بأس بأن يتناول بالليل فوق الشبع ليتقوى به على الصوم بالنهار قاله السرخسي في شرح الكسب للإمام محمد رحمة الله عليهما.

الفصل السادس
في بداية السبق(١) وقدره(٢) وترتيبه(٣)

كان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمة الله تعالى عليه يوقف بداءة السبق على يوم الأربعاء(٤) وكان يروي في ذلك حديثاً ويستدل به ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما من شيء بُدِىءَ يوم الأربعاء إلا وقد تم(٥)

---

(١) **المراد ببداية السبق**: ابتداء الدرس سُمي بالسبق لسبق الطالب له كل يوم.

(٢) أي مقدار الدرس.

(٣) وترتيبه أي الدرس.

(٤) هو صاحب الهداية رحمه الله وقد تابعه على ذلك واقتدى به كثير ممن جاء بعده.

قال اللكنوي: حتى علماء زماننا فإنهم يوقفون بداية السبق إلى الأربعاء ويقولون الكتاب الذي يشرع فيه يوم الأربعاء يوفق الله في إتمامه في زمن يسير ا.هـ من الفوائد البهية.

(٥) **قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة**: لم أقف له على أصل.

ولكن ذكر برهان الإسلام في كتابه تعليم المتعلم وساق كلامه هاهنا المذكور أعلاه ثم قال: ويعارضه حديث جابر مرفوعاً يوم الأربعاء يوم نحس مستمر أخرجه الطبراني في الأوسط.

ونحوه ما يروى عن ابن عباس: أنه لا أخذ فيه ولا عطاء وكلها ضعيفة اهـ.

وقال العلامة اللكنوي في الفوائد البهية بعد نقله لكلام السخاوي أعلاه ما نصه: تعقبه علي القارئ في رسالته المصنوع في معرفة الموضوع بقوله فيه أن معناه كان يوم نحس مستمر على الكفار فمفهومه أنه يوم سعد مستقر على الأبرار وقد اعتمد من أئمتنا صاحب الهداية هذا الحديث وكان يعمل به في ابتداء درسه وقد قال القسطلاني بلغني عن بعض الصالحين ممن لقيناه أنه اشتكت الأربعاء إلى الله تشاؤم الناس بها فمنحها أنه ما ابتدئ بشيء فيها إلا تم اهـ.

وهكذا كان يفعل أبي وكان يروي هذا الحديث عن أستاذه الشيخ الإمام الأجل قوام الدين أحمد بن عبد الرشيد رحمه الله تعالى(١) وسمعت ممن أثق به أن الشيخ يوسف الهمداني رحمه الله تعالى كان يوقف كل عمل من أعمال الخير على يوم الأربعاء وهذا لأن يوم الأربعاء يوم خلق فيه النور(٢) وهو يوم نحس في حق الكفار فيكون مباركاً للمؤمنين.

وأما قدر السبق في الابتداء فقد كان أبي يحكي عن الشيخ القاضي الإمام عمر بن الإمام بكر الزرنجري(٣) رحمه الله أنه قال: قال مشايخنا رحمهم الله تعالى ينبغي أن يكون قدر السبق للمبتدئ قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين ويزيد كلّ يوم كلمة حتى إنه وإن طال السبق وكثر يمكن ضبطه بالإعادة مرتين ويزيد بالرفق والتدريج(٤) وأما إذا طال السبق في الابتداء واحتاج إلى الإعادة عشر مرات فهو في الانتهاء أيضاً يكون كذلك(٥) لأنه يعتاد ذلك(٦)

---

(١) هو والد صاحب الخلاصة العلامة: أحمد بن عبد الرشيد بن الحسين قوام الدين البخاري.

قال الكفوي روى عنه صاحب الهداية بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من شيء بدئ به يوم الأربعاء إلا تم) وكان صاحب الهداية يوقف بداية السبق على يوم الأربعاء لهذا الحديث ا.هـ كتائب الأعلام.

(٢) كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هو نعمان وقته شمس الأئمة عماد الدين شيخ الحنفية ببخارئ عمر بن بكر بن محمد بن علي بن الفضل أبو حفص الزرنجري توفي ٥٨٤هـ.

(٤) أي قليلاً قليلا.

(٥) أي محتاجاً إلى كثرة التكرار لكون الدرس طويلاً وكثيراً.

(٦) أي يعتاد كثرة التكرار.

ولا يترك تلك العادة إلا بجهد كثير(١) وقد قيل السبق حرف والتكرار ألف(٢) وينبغي أن يبتدئ بشيء يكون أقرب إلى فهمه وكان الشيخ الإمام الأستاذ شرف الدين العقيلي رحمه الله تعالى(٣) يقول الصواب عندي في هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله فإنهم كانوا يختارون للمبتدئ صغار المبسوط لأنه أقرب إلى الفهم والضبط وأبعد من الملالة وأكثر وقوعاً بين الناس(٤).

وينبغي أن يُعلق السبق بعد الضبط والإعادة كثيراً فإنه نافع جداً(٥) ولا يكتب المتعلم شيئاً لا يفهمه فإنه يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع أوقاته(٦).

---

(١) أي المتعلم المجد تلك العادة التي ألفها وهي تكرار الدرس إلا بجهد كثير.

(٢) التعبير بالألف كناية عن الكثرة والمعنى ينبغي أن يكون الدرس قليلاً والتكرار كثيراً.

(٣) **هو العلامة:** شرف الدين عمر بن محمد بن محمد بن أحمد بن شرف الدين أبو حفص العقيلي الأنصاري.

قال المنذري: كان موصوفاً بالفضل والزهد والفلاح.

وقال الذهبي: كان من كبار حنفية بخارى وعلمائها.

وقال ابن ناصر الدين: توفي في جمادى الأولى سنة ٥٩٦هـ ببخارى رحمه الله.

(٤) أي ومسائلها وقواعدها لكونها خلاصة وزبدة مشتملة على ما يحتاجه الطلبة والعلماء من المسائل التي يكثر وقوعها بين الناس.

(٥) ويستحسن لثبات الدرس أن يكتبه الطالب بكراسة أو ورق بعد ضبطه وإعادته كثيرا فإن كتابته حينئذ نافعة جدا لثبات الدرس في ذهن الطالب فالعلم صيد والكتابة قيد كما تقرر عند أهل العلم.

(٦) لا ينبغي لطالب العلم أن يكتب شيئاً لم يفهمه من الدرس لأنه سيكتب كتابة مختلة سقيمة ومطالعة ذلك تورث كلالة الطبع أي ضعف العقل ويذهب الفطنة أي الذكاء ويضيع أوقات المطالع لعدم القدرة على استخراج المعنى من العبارة السقيمة التي كتبها من غير فهم.

وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ أو بالتأمل والتفكر وكثرة التكرار فإنه إذا قل السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم فقد قيل حفظ حرفين خيرٌ من سماع وقرين وفهم حرفين خير من حفظ وقرين وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرةً أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير فينبغي ألا يتهاون في الفهم بل يجتهد ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه فإنه يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه.

وأنشدنا الشيخ الأجل قوام الدين حماد بن إبراهيم بن إسماعيل الصفاري الأنصاري رحمه الله تعالى إملاء للقاضي الخليل بن أحمد السجزي في ذلك:

اخدم العلم خدمة المستفيد   وأدم درسه بعقل حميد(١)

وإذا ما حفظت شيئاً أعده   ثم أكده غاية التأكيد(٢)

ثم علقه كي تعود إليه   وإلى درسه على التأبيد(٣)

وإذا ما أمنت منه فواتاً   فانتدب بعده لشيء جديد

مع تكرار ما تقدم منه   اعتناء بشأن هذا المزيد(٤)

ذاكر الناس بالعلوم لتحيا   لا تكن من أولي النهى ببعيد(٥)

إن كتمت العلوم أنسيت حتى   لا ترى غير جاهل وبليد(٦)

ثم ألجمت في القيامة ناراً   وتلهبت في العذاب الشديد(٧)

(١) **يعني**: اجتهد في فهم العلم وحفظه خدمة مثل خدمة الذائق لذته والفاهم دقائقه وأدم الأخذ والاستماع بفعل حميد فعيل بمعنىٰ مفعول أي بجهد محمود.

(٢) أي كلما حفظتَ شيئاً من العلم أعده أي كرره كثيراً ثم أكده من التأكيد أي بعد زمان كرره أيضاً ليتأكد في ذهنك غاية التأكيد.

(٣) ثم علقه أي اكتبه بخط واضح وعبارة جميلة وضبط صحيح كي ترجع إليه عند الاحتياج إلىٰ نفس المحفوظ وإلىٰ درسه أي إلىٰ مذاكرته وتعليمه علىٰ التأبيد أي علىٰ الدوام كلما احتجت إلىٰ ذلك وفي بعض النسخ علىٰ التأبيد أي علىٰ تأكيد وتقوية ما تقدم حفظه ودرسه والأول أظهر.

(٤) أي كلما أمنت من فوات ما حفظته فانتدب أي أسرع لشيء جديد من العلم والدرس تحصله مع تكرار ما تقدم درسه.

(٥) ذاكر الناس حال كونك واعظاً ومريداً الخير للناس بالعلوم أي العقل المعلومات النافعة لهم لتحيا في نفسك وتحيي غيرك لا تكن من أولي النهىٰ جمع نهيه بمعنىٰ العقل، ببعيد أي لا تكن من أصحاب العقول بعيداً لأن مقارنة ومصاحبة العاقل العالم العامل المخلص تفيد صاحبها في الدنيا والآخرة.

(٦) إن كتمت العلوم ولم تذاكر بها أحداً أنسيت هذه العلوم حتىٰ لا ترىٰ أي لا تظن غير جاهل وبليد يعني نسيانك العلم يصل بك إلىٰ مرتبة لا يظن الرائي إياك إلا جاهلاً وبليدا.

(٧) ثم ألجمت ماضي مخاطب مجهول في القيامة نارا تمييز أي بلجام من نار إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم (من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) رواه الترمذي وحسنه.

وتلهبت: ماضي مخاطب من التفعل أي يتلهب باقي بدنه ملابسا بالعذاب الشديد لأنه لم ينتفع بعلمه.

والنبي صلى الله عليه وسلم تعوذ من علم لا ينفع.

ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة(١) والمطارحة(٢) وينبغي أن يكون(٣) بالإنصاف(٤) والتأني(٥) والتأمل(٦) ويتحرز عن الشغب(٧) والغضب(٨)

---

(١) هي المباحثة لإظهار الحق.

(٢) من طرح أحدهما كلام الآخر.

(٣) كل من المذاكرة والمناظرة والمطارحة.

(٤) في قبول الحق.

(٥) إذ العجلة مذمومة.

(٦) في مراد الآخر لأن الكلام قبل التأمل مدخول.

(٧) تهييج الشر وتحريكه.

(٨) يعني يجتنب كل واحد منهما الحقد على الآخر وقصد الإضرار به.

فإن المناظرة المذاكرة مشاورة والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب وذلك(١) إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف ولا يحصل ذلك(٢) بالغضب والشغب فإن كانت نيته إلزام الخصم وقهره فلا تحل المناظرة(٣) وإنما تحل(٤) لإظهار الحق والتمويه والحيلة فيها(٥) لا تجوز إلا إذا كان الخصم متعنتاً لا طالباً للحق(٦).

---

(١) أي استخرج الصواب.

(٢) أي إظهار الصواب.

(٣) أي بهذه النية الفاسدة.

(٤) أي المناظرة.

(٥) أي في المطارحة والمناظرة.

(٦) فحينئذ تجوز الحيلة ويجوز التمويه ليكون الجزاء من جنس العمل والأولى ترك ذلك.

وكان محمد بن يحيى رحمه الله تعالى إذا توجه عليه الإشكال ولم يحضره الجواب يقول ما ألزمته لازم وأنا فيه ناظرٌ وفوق كل ذي علم عليم وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار(١) لأن فيها تكراراً وزيادة(٢) فقد قيل مطارحة ساعة خير من تكرار شهر.

لكن(٣) إذا كان مع منصف سليم الطبيعة وإياك(٤) والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فإن الطبيعة متسرية والأخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة وفي الشعر الذي ذكره الخليل بن أحمد فوائد كثيرة (٥) وقد قيل:

العلم من شرطه لمن خدمه   أن يجعل الناس كلهم خدمه

---

(١) من غير مباحثة ومطارحة.
(٢) لأنه بسبب المباحثة ينكشف ويحصل من المعاني المستورة شيء كثير.
(٣) أي لكن خيرية المناظرة كائنة إذا كانت المناظرة مع منصف سليم الطبيعة.
(٤) نصب على التحذير أي بَعِّدْ نفسك عن المناظرة.
(٥) وقد سبق ذكره وأوله اخدم العلم خدمة المستفيد....

وينبغي لطالب العلم أن يكون متأملا في جميع الأحوال و الأوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك فإنما تدرك الدقائق بالتأمل ولهذا قيل تأمل تدرك، ولا بد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صواباً، فإن الكلام كالسهم فلا بد من تقويمه بالتأمل قبل الرمي حتى يكون مصيباً، وقال في أصول الفقه هذا أصل كبير وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل.

وقيل رأس العقل أن يكون الكلام بالتثبت والتأمل قال القائل:

أوصيك في نظم الكلام بخمسة   إن كنت للموصي الشفيق مطيعاً

لا تغفلن سبب الكلام ووقته   والكيف والكم والمكان جميعاً(١)

وينبغي أن يكون مستفيداً في كل الأحوال والأوقات من جميع الأشخاص قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها)(٢) وقيل خذ ما صفا ودع ما كدر.

---

(١) أوصيك في نظم الكلام أي في تكلمه بخمسة أشياء:

▪ **الأول:** لا تغفلن سبب الكلام أي عن سببه ومنشائه لأن الكلام بلا سبب ولا مقتض يدل على خفة عقل المتكلم.

▪ **والثاني**: وقت الكلام المناسب لأن الكلام في غير وقته قد يكون حراماً كالكلام في الصلاة وقد يكون مكروهاً كالكلام وقت الخطبة والأذان والوضوء وقضاء الحاجة.و

▪ **الثالث**: الكيف أي وصف الكلام كالجهر والخفاء واللين والغلظة والحسن والقبح.

▪ **والرابع**: الكم أي مقدار الكلام إذ الزيادة على الحاجة مذمومة ومن أسباب قسوة القلب.

▪ **والخامس**: مراعاة المكان كخارج المسجد وعند الأستاذ وعند الوالدين.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) أخرجه الترمذي وضعفه وأخرجه ابن ماجه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه كما في الجامع الصغير قال المناوي بإسناد حسن.

وسمعت الشيخ الإمام الأستاذ فخر الدين الكاشانيّ رحمه الله تعالى(١) يقول كانت جارية لأبي يوسف رحمه الله أمانة عند محمد رحمة الله عليه فقال لها محمد هل تحفظين في هذا الوقت من أبي يوسف في الفقه شيئاً قالت لا، إلا أنه كان يكرر ويقول سهم الدور ساقط فحفظ ذلك منها وكانت تلك المسألة مشكلة على محمد رحمه الله تعالى فحفظ ذلك منها فارتفع إشكاله بهذه الكلمة(٢)

---

(١) خطيب سمرقند فخر الدين مسعود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو سعد الكاشاني توفي في ربيع الأول سنة ٥٢٠هـ مترجم في تاريخ الإسلام للذهبي، والجواهر المضية للقرشي والفوائد للكنوي.

(٢) وصورة السهم الدائر زيد مثلاً في مرض موته وهب عبده من عمرو وسلمه إليه ثم وهب عمرو ذلك العبد في مرض موته من زيد وسلمه اليه ثم ماتا من مرضهما ولا مال لهما غير ذلك العبد فيقع فيه الدور لأن قيمة العبد لو كانت تسع مائة مثلاً يعطى ثلاثمائة إلى ورثة عمرو لكونها ثلث مال زيد ثم لو أعطى مائة إلى زيد لكونها ثلث مال عمرو يلزم أن يكون مال زيد سبع مائة فيزيد ماله على ثلثي تسع مائة ثم لو أعطي ثلث تلك المائة إلى عمرو يلزم أن يكون مال عمرو زائداً على ثلثي ثلث مائة وهذان لازمان باطلان فأسقط تلك المائة لكونها سهماً دائراً وصحح المسألة من تسع مائة فيعطي ستمائة إلى زيد لكونها

ثلثي تسع مائة ومائتان إلى عمرو لكونها ثلثي ثلاثمائة فترد المسألة إلى ثمانمائة.

حكي أن أبا حنيفة حج خمسة وخمسين سنة وأصحابه يستقبلونه كل سنة ففي سنة من السنين كان في الحج فوقعت مسألة السهم الدائر المذكورة وأشكلت على علماء الكوفة فتكلم كل واحد منهم بما خطر بباله فلم يصيبوا فلما رجع الإمام الأعظم واستقبله أصحابه سألوه عن هذه المسألة فقال بالبداهة من غير فكر أسقطوا السهم الدائر تصح المسألة فتصبح الهبة الأولى في ثلاثة من ثمانية والهبة الثانية في سهم فيحصل الواهب الأول ستة وهو ضعف ما صححنا في هبته وللواهب الثاني اثنان وهو ثلث ما أعطينا للواهب الأول فثبت بهذا الطريق أن طريق التصحيح إسقاط سهم الدور الذي هو واحد من التسعة وهذا من كمال عقله وعلمه، خذل الله الطاعنين له وشفعه للمحبين الطائعين له آمين.

فعلم أن الاستفادة ممكنة من كل أحد ولهذا قال أبو يوسف رحمه الله قيل له بم أدركت العلم؟ قال ما استنكفت من الاستفادة من كل أحد وما بخلت بالإفادة قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما بم أدركت العلم؟ قال بلسان سؤول وقلب عقول وبدن في السراء والضراء صبور(١).

وينبغي للمتعلم ألا يكون بخيلاً بعلم إذا استفاد منه إنسان واستفاد بكتابه قال عبد الله بن المبارك(٢) (من بخل بعلمه ابتلي بأحد ثلاثة إما أن يموت قبل أن ينتفع بعلمه أو ابتلي بخدمة السلطان أو ينسى ما علمه(٣) وإنما سمي طالب العلم ـ ما تقول ـ لكثرة ما كانوا يقولون في الزمان الأول ما تقول في هذه المسألة؟ وإنما تفقه أبو حنيفة رحمه الله تعالى بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكانه حين كان بزازاً(٤) وبهذا يعلم أن تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكسب.

---

(١) ونسبه الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم إلى دغفل النسابة.

(٢) هو الإمام المجمع على جلالة قدره وعلو رتبته: عبد الله بن المبارك المروزي رحمه الله تتلمذ لأبي حنيفة وروى عنه توفي ١٨١هـ.

(٣) وأخرجه الخطيب في الجامع عن سفيان الثوري بلفظ من بخل بعلمه ابتلي بثلاث إما أن ينساه ولا يحفظ وإما أن يموت ولا ينتفع به وإما أن تذهب كتبه.

(٤) قال السمعاني في الأنساب: هذه اللفظة تقال لمن يبيع البز وهو الثياب واشتهر جماعة بها من المتقدمين.

وكان أبو حفص الكبير(١) البخاري رحمه الله يكتسب ويكرر فإن كان لا بد لطالب العلم من الكسب لنفقة عياله وغيره فليكتسب وليكرر وليذاكر ولا يكسل وليس لصحيح البدن والعقل والفقير عذر في ترك التعلم والتفقه فإنه لا يكون أفقر من أبي يوسف رحمه الله تعالى ولم يمنعه ذلك من التفقه فمن كان له مال كثير فنعم المال الصالح لرجل الصالح (٢) المنصرف في طريق العلم.

---

(١) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام عالم أهل بخارىٰ في زمانه توفي في المحرم سنة ٢١٧هـ ا.هـ، أخذ العلم عن محمد بن الحسن وله أصحاب لا يحصون مترجم في الجواهر المضية.

(٢) **إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص يا عمرو** (نعم المال الصالح للرجل الصالح) أخرجه أحمد وابن حبان والطحاوي في شرح المشكل.

قيل لعالم بم أدركت العلم؟ قال بأب غني لأنه كان يصطنع به أهل العلم والفضل فإنه سبب زيادة العلم لأنه شكر على نعمة العقل والعلم وهو سبب الزيادة(١) قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى إنما أدركت العلم بالحمد والشكر فكلما فهمت شيئاً من العلوم ووقفت على فقه وحكمة قلت الحمد لله تعالى فازداد علمي وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بالشكر باللسان والجنان والأركان والمال ويرى الفهم والعلم والتوفيق من الله تعالى ويطلب الهداية من الله تعالى بالدعاء منه والتضرع إليه فإنه تعالى هاد من استهداه فأهل الحق وهم أهل السنة والجماعة طلبوا الحق من الله تعالى الحق المبين الهادي العاصم فهداهم الله تعالى وعصمهم عن الضلالة وأهل الضلالة أعجبوا برأيهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز وهو العقل لأن العقل لا يدرك جميع الأشياء كالبصر فإنه لا يبصر جميع الأشياء فحجبوا وعجزوا وضلوا وأضلوا.

---

(١) قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العاقل من عمل بعقله(١)
والعمل بالعقل أولاً أن يعرف عجز نفسه عن معرفة الحق بنفسه(٢)
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه فقد عرف
ربه(٣) فإذا عرف عجزَ نفسه وعقله عرف قدرة الله تعالى عز وجل ولا
يعتمد على نفسه وعقله بل يتوكل على الله تعالى ويطلب الحق منه ومن
يتوكل على الله فهو حسبه(٤) ويهديه إلى صراط مستقيم ومن كان له
مال فلا يبخل وينبغي أن يتعوذ بالله تعالى من البخل، قال النبي عليه
الصلاة والسلام (وأي داء أدوأُ من البخل(٥).

---

(١) لم أجده وعند ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله قوله صلى الله
عليه وسلم (العاقل من عقل عن الله عز وجل أمره وليس من عقل
تدبير دنياه) وهو حديث ضعيف.

(٢) أي أن العمل بالعقل يوجب على العاقل أولاً أن يدرك عجز نفسه
وضعف عقله فإذا عرف ذلك استعان في معرفة الحق بالشرع فرجع
إليه وسلم له ، واعلم أن هذا المقطع من المتن ساقط من بعض النسخ.

(٣) قال النووي رحمه الله: ليس بثابت.

ومعناه: من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له
عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العُلى اهـ فتاوى
النووي.

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني في كتابه القواطع في أصول الفقه: أنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكىٰ عن يحيىٰ بن معاذ الرازي يعني من قوله ذكره السخاوي في المقاصد والعجلوني في كشف الخفا.

وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى: لا أصل له وإنما يحكىٰ من كلام يحيىٰ بن معاذ الرازي.

(٤) **قال تعالى** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بإسناد حسن وأخرجه الحاكم والبزار والطبراني والطبري في تهذيب الآثار.

وكان أبو الشيخ الإمام الأجل شمس الأئمة الحلواني رحمه الله تعالى فقيراً يبيع الحلواء وكان يعطي الفقهاء من الحلواء ويقول ادعوا لابني فببركة جوده واعتقاده وشفعته وتضرعه نال ابنه ما نال، ويشتري بالمال الكتب ويستكتب فيكون عوناً على التعلم والتفقه فقد كان لمحمد بن الحسن رحمه الله مال كثير حتى كان له ثلاثمائة من الوكلاء على ماله فأنفقه كله في العلم والفقه ولم يبق له ثوب نفيس فرآه أبوه يوسف رحمه الله تعالى في ثوب خلق فأرسل إليه ثيابا نفيسة فلم يقبلها وقال عجل لكم وأجّل لنا ولعله إنما لم يقبلها وإن كان قبول الهدية سنة لما رأى في ذلك مذلة لنفسه، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام (ليس للمؤمن أن يذل نفسه(١) وحكي أن الشيخ فخر الإسلام الأرسابندي رحمه الله جمع قشور البطيخ الملقاة في مكان خال فغسلها وأكلها فرأته جارية فأخبرت بذلك مولاها، فاتخذ له دعوة ودعاه إليها فلم يقبل لهذا وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يكون ذا همة عالية لا يطمع في أموال الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم (إياك والطمع فإنه فقر حاضر(٢).

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا (ليس للمؤمن أن يذل نفسه) قالوا كيف يا رسول الله؟ قال (يتعرض للبلاء بما لا يطيق) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه عن سعد بن أبي وقاص قال (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أوصني

وأوجز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه) اهـ.

أقول: في سنده محمد بن أبي حميد مجمع على ضعفه لكن الظاهر أنه توبع كما في قول ابن حجر في تسديد القوس وللحديث شاهد عند القضاعي في المسند من حديث ابن عمر وكذا عن غيره.

ولا يبخل بما عنده من المال بل ينفق على نفسه وعلى غيره قال النبي عليه الصلاة والسلام الناس كلهم في فقر مخافة الفقر(١) وكانوا في الزمان الأول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمعوا في أموال الناس وفي الحكمة(من استغنى بمال الناس افتقر) والعالم إذا كان طماعاً لم تبق له حرمة العلم ولا يقول بالحق ولهذا كان يتعوذ صاحب الشرع عليه السلام منه ويقول (أعوذ بالله من طمع يدني إلى طبع (٢) وينبغي للمؤمن ألا يرجو إلا من الله تعالى ولا يخاف إلا منه تعالى.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ وفي المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغِنى قلت نعم قال وترى أن قلة المال هو الفقر قلت نعم يا رسول الله قال ليس كذلك إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب) أخرجه ابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير والنسائي في الكبرى.

(٢) أخرجه تمام في فوائده من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا بنحوه وله شاهد من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع ومن طمع إلى غير مطمع ومن طمع حيث لا طمع) أخرجه أحمد وعبد بن حميد والبزار والطبراني في الدعاء والحاكم في المستدرك.

ويظهر ذلك(١) بمجاوزة حد الشرع وعدمها فمن عصا الله تعالى خوفاً من المخلوق فقد خاف غير الله تعالى فإذا لم يعص الله تعالى لخوف المخلوق ، وراقب حدود الشرع فلم يخف غير الله تعالى بل خاف الله تعالى وكذا في جانب الرجاء وينبغي لطالب العلم أن يعد ويقدر لنفسه تقديراً في التكرار(٢) فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ.

---

(١) أي كون الرجاء والخوف من غير الله تعالى أو منه تعالى.

(٢) أي أن يحدد مقداراً من العدد للتكرار كعشرين مرة أو خمسين أو مائة.

وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات وسبق الذي قبله ثلاث مرات والذي قبله اثنين والذي قبله مرة واحدة فهذا أدعى إلى الحفظ وينبغي ألا يعتاد المخافتة في التكرار لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكون بقوة ونشاط ولا يجهر جهرا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها، حكي أن أبا يوسف رحمه الله تعالى كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط، وكان صهره عنده يتعجب من أمره ويقول أنا أعلم أنه جائع منذ خمسة أيام، ومع ذلك يناظر بقوة ونشاط وينبغي ألا يكون لطالب العلم فترة فإنها آفة(١).

---

(١) أي مصيبة مانعة عن التحصيل نسأل الله السلامة.

وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يقول إنما فقت على شركائي بأني لم تقع لي الفترة في التحصيل وكان يحكي عن شيخ الإسلام الإسبيجابي رحمة الله عليه(١) أنه وقع له في زمان تحصيله وتعلمه فترة اثنتي عشرة سنة(٢) بانقلاب الملك فخرج مع شريكه في المناظرة ولم يترك (٣) وكانا يجلسان للمناظرة كل يوم ولم يتركا الجلوس والمناظرة اثنتي عشرة سنة فصار شريكه شيخ الإسلام للشافعيين وكان هو(٤) شافعياً وكان أستاذنا الشيخ القاضي الإمام فخر الإسلام قاضيخان يقول ينبغي للمتفقه أن يحفظ نسخة واحدةً من نسخ الفقه(٥) دائماً ليتيسر له حفظ ما يسمع من الفقه.

---

(١) هو شيخ الإسلام إمام الحنفية في زمانه: علي بن محمد بن إسماعيل الاسبيجابي توفي سنة ٥٣٥هـ.

(٢) أي شغله هم شوش باله وكدر خاطره طيلة هذه المدة ومع ذلك لم يترك المباحثة والمطارحة مع شريكه لعلمه أن الفترة آفة العلم.

(٣) أي الاسبيجابي وشريكه المناظرة.

(٤) أي شريك الاسبيجابي في المناظرة كان شافعياً والإسبيجابي كان حنفياً فتعلم شريك الاسبيجابي مذهب الشافعية من الاسبيجابي الحنفي حتى صار مفتياً للشافعية.

(٥) أي من كتب الفقه.

الفصل السابع
في التوكل(١)

ثم لا بد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم ولا يهتم لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك روى أبو حنيفة رحمه الله عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تفقه في دين الله كفاه الله تعالى همه ورزقه من حيث لا يحتسب(٢) فإن من اشتغل قلبه بأمر الرزق من القوت والكسوة قلما يتفرغ لتحصيل مكارم الأخلاق ومعالي الأمور قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قال رجل لمنصور الحلاج أوصني فقال هي نفسك إن لم تشغلها(٣) شغلتك(٤).

---

(١) التوكل: هو قطع العلائق من الخلائق وتفويض الأمور إلى الله تعالى والأخذ بالأسباب مطلوب شرعاً والاعتماد على الأسباب ممنوع شرعاً فخذ بالأسباب واعتمد على مسبب الأسباب.

(٢) رواه الحافظ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسروا البلخي الحنفي توفي ٥٢٢هـ وأخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور والخطيب في التاريخ من طريق أحمد بن محمد بن الصلت الحماني ومن طريق أبي علي عبد الله بن جعفر الرازي وأخرجه بن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله.

(٣) أي بالخير.

(٤) أي بالشر.

فينبغي لكل أحد أن يشغل نفسه بأعمال الخير حتى لا تشغل نفسه بهواها ولا يهتم العاقل لأمر الدنيا لأن الهم والحزن لا يرد المصيبة ولا ينفع بل يضر بالقلب والعقل والبدن ويخل بأعمال الخير ويهتم لأمر الآخرة لأنه ينفع وأما قوله عليه الصلاة السلام (إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا هم المعيشة(١) فالمراد منه قدر هم لا يخل بأعمال الخير ولا يشغل القلب شغلاً يخِل بإحضار القلب في الصلاة فإن ذلك القدر من الهم والقصد من أعمال الآخرة(٢) ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق(٣) الدنيوية بقدر الوسع والإمكان ولهذا اختاروا الغربة ولا بد لطالب العلم من تحمل النَّصَبِ والمشَقَّةِ في سفر التعلم كما قال موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه في سفر التعلم ولم ينقل عنه ذلك في غيره من الأسفار(٤) ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الكهف)

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في تاريخه وابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قالوا فما يكفرها يا رسول الله قال الهموم في طلب المعيشة).

قال ابن عساكر غريب جدا وقال الخطيب حديث منكر وقال الطبراني تفرد به محمد بن سلام أقول وهو متهم بالوضع.

(٢) لأن الكسب لدفع الحاجة فرض فيكون من أعمال الآخرة.

(٣) جمع العلاقة بمعنى المحبة والمراد هنا الموانع اللازمة للمحبة للدنيا وزخارفها.

(٤) هذه جملة معترضة.

ليعلم أن سفر العلم لا يخلو من التعب لأن طلب العلم أمر عظيم وهو أفضل من الغزاة عند أكثر العلماء(١) والأجر على قدر التعب والنصب فمن صبر على ذلك وجد لذة تفوق سائر لذات الدنيا ولهذا كان محمد بن الحسن إذا سهر الليالي وانحلت له المشكلات يقول أين أبناء الملوك من هذه اللذات؟

وينبغي لطالب العلم ألا يشتغل بشيء آخر غير العلم ولا يعرض عن التفقه قال محمد بن الحسن رحمه الله (إن بضاعتنا هذه من المهد إلى اللحد فمن أراد أن يترك علمنا هذا ساعة فليتركه الساعة).

ودخل فقيه على أبي يوسف يعوده في مرض موته وهو يجود بنفسه فقال أبو يوسف له رمي الجمار راكباً أفضل أم راجلاً؟ فلم يعرف الجواب فأجاب بنفسه(٢) وهكذا ينبغي للفقيه أن يشتغل به(٣) في جميع أوقاته فحينئذ يجد لذة عظيمة في ذلك وقيل رؤي محمد في المنام بعد وفاته فقيل له كيف كنت في حال النزع فقال كنت متأملا في مسألة من مسائل المكاتب فلم أشعر بخروج روحي وقيل إنه قال في آخر عمره شغلتني مسائل المكاتب عن الاستعداد لهذا اليوم وإنما قال ذلك تواضعاً منه(٤).

---

(١) لأن طلب علم الحال فرض عين بينما الجهاد فرض كفاية.
(٢) ونص القصة في الجواهر المضية قال إبراهيم يعني بن الجراح: أتيته يعني أبا يوسف أعوده فوجدته مغمى عليه فلما أفاق قال لي يا إبراهيم

أيما أفضل في رمي الجمار أن يرميها راجلاً أو راكباً فقلت راكباً فقال لي أخطأت ثم قال أما ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راجلاً وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكباً ثم قمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه و إذا هو قد مات.

(٣) أي الفقه.

(٤) وإظهاراً لكمال احتياجه إلى رحمة الله وإلا فأي استعداد فوق استعداده لأنه الإمام الرباني وأحد عظماء العلماء علما وعملا قالاً وحالاً رضي الله عنه وأرضاه وألحقنا به صالحين.

الفصل الثامن
في وقت التحصيل

قيل وقت التحصيل من المهد(١) إلى اللحد(٢) دخل حسن بن زياد(٣) على أبي يوسف وهو ابن ثمانين سنة ولم يبت على الفراش أربعين سنة فأفتى بعد ذلك أربعين سنة وأفضل الأوقات شرخ الشباب(٤) ووقت السحر وما بين العشائين وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته فإذا مل من علم يشتغل بعلم آخر(٥) وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنه إذا مل من علم الكلام يقول هاتوا ديوان الشعراء، وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده الدفاتر وكان إذا مل من نوع ينظر في نوع آخر وكان يضع عنده الماء يدفع نومه به وكان يقول إن النوم من الحرارة والماء دافعه.

---

(١) أي من وقت القابلية للتعلم المجاور لوقت المهد.

(٢) أي إلى الموت المجاور لوقت اللحد.

(٣) **هو الإمام الكبير:** الحسن بن زياد اللؤلؤي تفقه على أبي حنيفة رضي الله عنه وكان ورعاً زاهداً صالحاً توفي سنة ٢٠٤هـ.

(٤) أي أوله.

(٥) لأن لكل جديد لذة.

الفصل التاسع
في الشفقة(١) والنصيحة(٢)

ينبغي أن يكون طالب العلم مشفقاً ناصحاً غير حاسد فالحسد يضره(٣) ولا ينفع(٤) وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين(٥) رحمه الله تعالى يقول قالوا(٦) إن ابن المعلم المشفق يكون عالماً لأن المعلم يريد أن يكون تلاميذه علماء فببركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالماً(٧).

---

(١) الرحمة.
(٢) إرادة الخير للمنصوح.
(٣) أي يضر الحاسد.
(٤) وكفى الحاسد ذماً آخر الفلق قال الله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (الفلق).
(٥) صاحب الهداية رحمه الله.
(٦) أي من سبقه من العلماء.
(٧) أي غالباً.

وكان أبي رحمه الله يحكي أن الصدر الأجل برهان الأئمة(١) رحمه الله جعل وقت السبق لابنيه الصدر الشهيد حسام الدين(٢) والصدر السعيد تاج الدين (٣) رحمهما الله تعالى وقت الضحوة الكبرى بعد جميع الأسباق(٤) وكانا يقولان إن طبيعتنا تكل وتمل في ذلك الوقت فقال أبوهما رحمه الله إن الغرباء وأولاد الكبراء يأتونني من أقطار الأرض فلا بد من أن أقدم أسباقهم فببركة شفقته تفوق أبناه على أكثر فقهاء الأمصار وأهل الأرض في ذلك العصر في الفقه وينبغي(٥) أن لا ينازع أحداً ولا يخاصمه(٦) لأنه(٧) يضيع أوقاته(٨) قيل المحسن سيجزى بإحسانه(٩) والمسيء ستكفيه مساويه(١٠).

---

(١) هو برهان الأئمة: عبد العزيز بن عمر بن مازة يعرف بالصدر لأن السلطان سنجر أرسله إلى بخارى في مهمة وسماه صدراً سنة ٤٩٥هـ فعرف بالصدر.

(٢) علامة ما وراء النهر شيخ عصره نعمان زمانه عمر بن عبد العزيز بن عمر مازة ولد ٤٨٣هـ وتوفي ٥٣٦هـ.

(٣) هو الإمام الكبير: أحمد بن عبد العزيز بن عمر مازة والد العلامة محمود صاحب الذخيرة وتتلمذ له صاحب الهداية رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) جمع السبق يعني يعلم ابنيه بعد ما يعلم جميع تلاميذه.

(٥) أي يجب.

(٦) أي لأجل الدنيا.

(٧) أي المنازع والمخاصم.
(٨) فيما لا فائدة له فيه.
(٩) أي في العقبى .
(١٠) أي عذاب ذنوبه في الآخرة والمعنى أن المسيء يكفيه خذلان الله له وإلى هذا المعنى يشير ما رواه الحافظ المزي في تهذيب الكمال قال أبو الوليد الطيالسي عن سفيان بن عيينة سمعت أبا حازم يقول (لا تعادين رجلاً ولا تناصبه حتى تنظر إلى سريرته بينه وبين الله فإن الله لم يكن ليخذله بعداوتك له وإن كانت له سريرة رديئة فقد كفاك مساوئه ولو أردت أن تعمل به أكثر من معاصي الله لم تقدر) وسنده جيد.

أنشدني الشيخ الإمام ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بإمام خواهر زاده المفتي رحمه الله(١) قال أنشدني سلطان الشريعة يوسف الهمداني رحمه الله تعالى:

ولا تجز إنساناً على سوء فعله سيكفيه ما فيه وما هو فاعله(٢)

وقيل: من أراد أن يرغم أنف عدوه فليكرر الدرس وأنشدتُ(٣) فيه شعراً:

إذا شئت أن تلقى عدوك راغما وتقتله غماً وتحرقه هما

فَرُمْ(٤) للعلا وازدد من العلم إنه من ازداد علماً زاد حاسده غمّا

وقيل عليك أن تشتغل بمصالح نفسك لا بقهر عدوك فإذا قمت بمصالح نفسك تضمَّن ذلك قهر عدوك وإياك والمعادة فإنها تفضحك(٥) وتضيع أوقاتك(٦) وعليك بالتحمل لا سيما من السفهاء(٧).

---

(١) للفريقين الإنس والجن وهو المراد بشيخ الإسلام إذا أطلق عند علمائنا الحنفية.
(٢) سيكفيه أي جزاء ما فيه من الأخلاق الذميمة وجزاء ما هو فاعله من الأفعال الردية.
(٣) بالبناء للمجهول.

(٤) اطلب.
(٥) في الدنيا إن تكن مغلوباً وفي الآخرة إن كنت غالباً.
(٦) فيما لا يعود بالنفع عليك.
(٧) جمع سفيه وهو من لم يميز الخير والشر بسبب الخفة في عقله.

قال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه احتملوا من السفيه واحدةً كي تربحوا عشراً(١) وأنشدتُ لبعضهم شعراً:

بلوت الناس قرناً بعد قرن   فلم أر غير ختالٍ وقالي(٢)

ولم أر في الخطوب أشدَّ وقعاً   وأصعب من معاداة الرجال

وذقت مرارة الأشياء طراً   فما شيءٌ أمر من السؤال

وإياك أن تظن بالمؤمنين سوءاً فإنه منشأ العداوة ولا يحل ذلك(٣) لقوله عليه الصلاة والسلام(ظنوا بالمؤمنين خيراً(٤)).

---

(١) أي من الحسنات.

(٢) الختال المختال، والقالي المبغض.

(٣) أي الظن السوء لقوله تعالى ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات)

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أخرج ابن ماجه لفظاً قريباً منه عن عبد الله بن عمر قال (رأيت رسول الله يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده فحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً) وهو حديث حسن.

وأخرج البيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لما نظر رسول الله إلى الكعبة قال مرحباً من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك إن الله حرم منك واحدة وحرم من المؤمن ثلاثاً دمه وماله وأن يظن له ظن السوء).

وإنما ينشأ ذلك(١) من خبث النية وسوء السريرة كما قال أبو الطيب:

إذا ساء فِعل المرءِ ساءت ظنونه — وصدَّق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عُداته — وأصبح في ليل من الشك مظلمِ

وأنشدت لبعضهم:

تنحَّ عن القبيح ولا ترده — ومن أوليته حسناً فزده
ستكفى من عدوك كل كيد — إذا كاد العدو فلا تكده

وأنشدتُ للشيخ العميد أبي الفتح البستي رحمه الله تعالى:

ذو العقل لا يسلم من جاهلٍ — يسومه ظلماً وإعناتا
فليختر(٢) السلم على حربه — وليلزم الإنصات إنصاتا(٣)

---

(١) أي الظن السيء.
(٢) أي العاقل.
(٣) أي لأن جواب الأحمق هو السكوت.

الفصل العاشر
في الاستفادة

وينبغي أن يكون طالب العلم مستفيداً في كل وقت حتى يحصل له الفضل وطريق الاستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد فقد قيل (من حفظ فرَّ(١) ومن كتب شيئاً قرّ(٢) وقيل (العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال لأنهم يحفظون أحسن ما يسمعون ويقولون أحسن ما يحفظون) وسمعت الشيخ الإمام الأديب الأستاذ ركن الإسلام المعروف بالأديب المختار يقول قال هلال بن يسار رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين شيئاً من العلم والحكمة فقلت يا رسول الله أعد لي ما قلت لهم فقال لي هل معك محبرة؟ فقلت ما معي محبرة فقال يا هلال لا تفارق المحبرة فإن الخير فيها وفي أهلها إلى يوم القيامة(٣) ووصى الصدر الشهيد حسام الدين لابنه شمس الدين(٤) أن يحفظ كل يوم شيئاً يسيراً من العلم والحكمة فإنه يسير وعن قريب يكون كثيراً واشترى عصام بن يوسف(٥) قلماً بدينار ليكتب ما سمعه في الحال فالعمر قصير والعلم كثير فينبغي ألا يضيع الأوقات والساعات ويغتنم الليالي والخلوات.

---

(١) أي من حفظه.
(٢) أي يثبت فيما كتب.

(٣) لم أجده وهلال هو ابن زيد بن يسار أبو عقال مولى النبي صلى الله عليه وسلم ويقال مولى أنس.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة إمام بخارى وابن إمامها.

(٥) **هو الإمام الكبير**: عصام بن يوسف بن ميمون بن قدامة أبو عصمة البلخي توفي ٢١٥هـ.

عن يحيى بن معاذ الرازي(١) أنه قال الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك وينبغي أن يغتنم الشيوخ(٢) ويستفيد منهم وليس كل ما فات يدرك كما قال أستاذنا شيخ الإسلام رحمه الله كم من شيخ كبير أدركته وما استخبرته وأقول على هذا الفوات منشئاً هذا البيت:

لهفي على فوت التلاقي لهفا(٣) ما كل ما فات ويفنى(٤) يلفى(٥)

---

(١) الإمام الواعظ الصوفي العارف المشهور حكيم أهل زمانه توفي ٢٥٨هـ.

(٢) أي يغتنم حياتهم ويحرص على التتلمذ لهم لأن الأكابر ذهبوا بالبركة.

(٣) تأكيد لفظي أي يا حسرتا.

(٤) من الفناء.

(٥) يلفى بالفاء يدرك.

قال علي رضي الله عنه إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً وكفى بالإعراض عن علم الله خزياً وخساراً واستعذ بالله منه(١) ليلاً ونهاراً(٢) ولابد لطالب العلم من تحمل المشقة والمذلة في طلب العلم والتملق مذموم إلا في طلب العلم فإنه لا بد له من التملق للأستاذ والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم قيل العلم عز لا ذل فيه ولا يدرك إلا بذل لا عز فيه وقال القائل:

أرى لك نفساً تشتهي أن تعزها　　　فلست تنال العز حتى تذلها

---

(١) أي من الإعراض عن تعلم العلم وتحصيله.

(٢) وكفى في ذم الإعراض عن العلم بالله والعلم بما يقرب من رضوان الله قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (طه).

الفصل الحادي عشر
في الورع(١)في حالة التعلم

روى بعضهم حديثاً(٢) في هذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله تعالى بأحد ثلاثة أشياء إما أن يميته في شبابه أو يوقعه في الرساتيق(٣) أو يبتليه بخدمة السلطان) فمهما كان طالب العلم أورع كان علمه أنفع والتعلم له أيسر وفوائده أكثر ومن الورع الكامل أن يحترز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع وأن يتحرز عن أكل طعام السوق إن أمكن(٤) لأن طعام السوق أقرب للنجاسة(٥) والخيانة(٦) وأبعد عن ذكر الله وأقرب إلى الغفلة(٧) ولأن أبصار الفقراء تقع عليه ولا يقدرون على الشراء منه فيتأذون بذلك فتذهب بركته.

---

(١) الورع: يعني التحرز عن الحرام والابتعاد عن الشبهة.
(٢) ولا يصح حديثاً بل هو يشبه ما سبق عن ابن المبارك رحمه الله.
(٣) أي في القرى بين أقوام جاهلين لا يميزون العالم من الجاهل بل ينفرون منه ويبغضونه يقال من سكن في الرساتيق فكأنما سكن في القبر حياً.
(٤) وإلا فالضرورات تبيح المحظورات.
(٥) لعدم مبالاة الطباخين بوقوع النجاسة فيه إلا من رحم ربك وقليل ما هم.
(٦) كخلط المضر بالمعدة أو البيع الفاسد أو عدم النظافة وما شابه ذلك من أفعال الجاهلين بأحكام الشرع الطامعين في حطام الدنيا.
(٧) لغفلة صانعه عن الله عز وجل.

حكي أن الشيخ الإمام الجليل محمد بن الفضل رحمه الله كان في حال تعلمه لا يأكل من طعام السوق(١) وكان أبوه يسكن في الرستاق(٢) ويهيء له طعامه ويدخل إليه يوم الجمعة فرأى في بيت ابنه خبز السوق يوماً فلم يكلمه ساخطاً عليه فاعتذر ابنه فقال ما اشتريته أنا ولم أرض به ولكن أحضره شريكي فقال له أبوه لو كنت تحتاط(٣) وتتورع(٤) لم يجترئ شريكك على ذلك.

---

(١) لكمال تورعه.
(٢) بضم الراء وسكون السين بمعنى القرية.
(٣) تعمل بأوثق الأمور.
(٤) تتحرز عما لا ينبغي.

وهكذا كانوا يتورعون فلذلك وفقوا للعلم والنشر(١) حتى بقي اسمهم إلى يوم القيامة ووصى فقيه من زهاد الفقهاء طالب علم فقال له عليك أن تتحرز عن الغيبة(٢) وعن مجالسة المكثار(٣) وقال إن من يكثر الكلام يسرق عمرك(٤) ويضيع أوقاتك(٥).

---

(١) أي نشر العلم إلى طالبيه.
(٢) المحرمة قال تعالى ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات).
(٣) أي كثير الكلام.
(٤) أي يحرمك من الانتفاع بعمرك كما يحرم السارق صاحب المال من الانتفاع بماله المسروق.
(٥) أي فيما لا فائدة فيه.

ومن الورع أن يجتنب أهل الفساد(١) والمعاصي(٢) والتعطيل(٣) ويجاور الصلحاء فإن المجاورة مؤثرة لا محالة وأن يجلس مستقبلاً القبلة وأن يكون مستناً بسنة النبي عليه الصلاة والسلام ويغتنم دعاء أهل الخير ويحترز عن دعاء المظلومين حكي أن رجلين خرجا في طلب العلم للغربة وكانا شريكين في العلم فرجعا بعد سنين إلى بلدهما وقد فقه أحدهما ولم يفقه الآخر فتأمل فقهاء البلدة وسألوا عن حالهما وتكرارهما وجلوسهما فأخبروا أن جلوس الذي تفقه في حال التكرار كان مستقبلاً القبلة والمصر الذي حصل العلم فيه والآخر مستدبراً القبلة ووجهه إلى غير المصر فاتفق العلماء والفقهاء على أن الفقيه فقه ببركة استقبال القبلة إذ هو السنة في الجلوس إلا عند الضرورة وببركة دعاء المسلمين فإن المصر لا يخلو من العباد الصالحين وأهل الخير فالظاهر أن عابداً من العباد دعا له في الليل.

---

(١) كالنمام والمشاغب.
(٢) كالزاني واللوطي ومحب صحبة المرد ومتعاطي المخدرات.
(٣) أي المضيعين أعمارهم في المقاهي والأسواق والمنتزهات والملاهي.

فينبغي لطالب العلم ألا يتهاون بالآداب والسنن فإن من يتهاون بالآداب يحرم السنن ومن يتهاون بالسنن حرم الفرائض ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة وبعضهم قالوا هذا حديث عن رسول صلى الله عليه وسلم(١) وينبغي أن يكثر الصلاة ويصلي صلاة الخاشعين فإن ذلك عون له على التحصيل والتعلم(٢) أنشدتُ للشيخ الجليل الزاهد الحاج نجم الدين عمر بن محمد النسفي(٣):

كن للأوامر والنواهي حافظاً وعلى الصلاة مواظباً ومحافظا

واطلب علوم الشرع واجهد واستعن بالطيبات تصر فقيهاً حافظا

واسأل إلهك حِفظ حِفظِكَ راغباً في فضله فالله خيرُ حافِظا

---

(١) ولا يصح ذلك بل هو من كلام العلماء رحمهم الله تعالى.

(٢) قال تعالى ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (البقرة: ٤٥).

(٣) هو الإمام الفقيه الأديب عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي ثم السمرقندي من أعيان علماء الحنفية وكبارهم توفي ١٢ جمادى الأولى ٥٣٧هـ.

وقال أيضاً رحمه الله:

أطيعوا وجدُّوا ولا تكسلوا   وأنتم إلى ربكم ترجعون
ولا تهجعوا فخيارُ الورى   قليلاً من الليل ما يهجعون

وينبغي أن يستصحب دفتراً(١) على كل حال ليطالعه وقيل من لم يكن له دفترٌ في كمه لم تثبت الحكمة في قلبه وينبغي أن يكون في الدفتر بياض ليكتب فيه ما سمعه من أفواه الرجال ويستصحب المحبرة ليكتب ما يسمعه وقد ذكرنا حديث هلال بن يسار.

---

(١) مشتملاً على ذكر العباد والصالحين وقصصهم في علو الهمة والجد في تحصيل العلم ليكون ذلك عوناً له على الاقتداء بهم والحرص على سلوك مسلكهم وقيل المراد بالدفتر ما يدون فيه فوائده.

الفصل الثاني عشر
فيما يورث(١)الحفظ وفيما يورث النسيان

وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة(٢) وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن من أسباب الحفظ قيل ليس شيء(٣) أزيد(٤) للحفظ من قراءة القرآن نظراً وقراءة القرآن نظراً أفضل(٥) لقوله صلى الله عليه وسلم (أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن نظراً(٦) ورأى شداد بن حكيم(٧) بعض إخوانه في المنام بعد وفاته فقال أي شيء وجدته أنفع؟ قال قراءة القرآن نظراً.

---

(١) يعطي.

(٢) أي تكرار ما حفظ إذ بالتكرار تحصل الملكة.

(٣) اسم ليس.

(٤) خبر ليس.

(٥) أي من قراءته عن ظهر قلب لاجتماع عبادتين هما عبادة القراءة وعبادة النظر في المصحف.

(٦) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن عبادة بن الصامت مرفوعاً (أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً) وسنده ضعيف.

(٧) هو شداد بن حكيم البلخي أبو عثمان من قدماء شيوخ بلخ يروي نسخة عن زفر بن الهديل رحمه الله توفي ٢١٣هـ وقيل ٢١٠هـ.

ويقول(١) عند رفع الكتاب(٢) (بسم الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز العليم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين(٣) ويقول بعد كل مكتوبة (آمنت بالله الواحد الأحد الحق وحده لا شريك له وكفرت بما سواه ويكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه رحمة للعالمين(٤).

---

(١) أي طالب العلم.

(٢) الذي يريد قراءته أو مطالعته.

(٣) إن قلت هل ورد هذا الدعاء عند فاتحة القراءة للكتاب أو المطالعة قلت لا لم يرد ذلك وإنما أتى بها بعض العلماء على سبيل التعظيم للعلم والاستعانة بالذكر لله على الفهم والحفظ وحصول البركة وهذه مقاصد حسنة فلا يوصف من يفعل ذلك تعظيماً لحرمات الله بالضلالة فافهم.

(٤) أي فببركة هذا الدعاء الذي يؤتى به بعد المأثور عقب الصلاة وببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة للعالمين يرحم الله طالب العلم ويفتح له باب الحفظ والفهم.

قال الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

فإن الحفظ فضل من إلهي وفضل الله لا يهدى لعاصي

والسواك(١) وشرب العسل وأكل الكندر(٢) مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق يورث الحفظ ويشفي من كثير من الأمراض والأسقام وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات(٣) يزيد في الحفظ وكل ما يزيد في البلغم(٤) يورث النسيان.

---

(١) مبتدأ وما بعده معطوف عليه والخبر يورث الحفظ.

(٢) بضم الكاف وسكون النون.

(٣) كالخبز اليابس والتين اليابس وغيرهما من المأكولات اليابسة.

(٤) من الأشياء الرطبة الحامضة وكل مبتدأ ويورث خبره.

وأما ما يورث النسيان(١) فالمعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا وكثرة الأشغال(٢) والعلائق وقد ذكرنا أنه لا ينبغي للعاقل أن يهتم لأمر الدنيا لأنه يضر ولا ينفع وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة في القلب وهموم الآخرة لا تخلو عن النور في القلب ويظهر أثره في الصلاة وهم الدنيا يمنعه عن الخير وهم الآخرة يحمله عليه(٣) والاشتغال بالصلاة على الخشوع وتحصيل العلم ينفي الهم والحزن كما قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له:

اعتنِ نصر بن حسن   بكل علم يختزن

ذاك الذي ينفي الحزن   وغيره لا يؤتمن

---

(١) أي من غير المأكولات والمشروبات.

(٢) جمع الشغل.

(٣) أي على الخير.

وقال الشيخ الإمام الأجل نجم الدين عمر بن محمد النسفي في أم ولد له:

سلام على من تَيَّمْتَني بطرفها ... ولمعة خديها ولمحة طرفها
سبتني وأصبتنـي فتاة مليحة ... تحيرت الأفهام في كنه وصفها
فقلت ذريني واعذريني فإنني ... شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقى ... غنى عن غناء الغانيات وعزفها

وأما أسباب نسيان العلم فأكل الكزبرة الرطبة وأكل التفاح الحامض والنظر إلى المصلوب وقراءة لوح القبور والمرور بين قطار الجمال وإلقاء القمل الحي على الأرض والحجامة على نقرة القفا كلها تورث النسيان(١).

---

(١) أما أكل الكزبرة والتفاح فلرطوبتهما وأما النظر إلى المصلوب وقراءة اللوح فللخوف وتفرق العقل وأما المرور وإلقاء القمل فلأذية الحيوان وأما الحجامة فلإضعاف القوة الحافظة.

الفصل الثالث عشر
فيما يجلب الرزق وفيما يمنعه
وما يزيد في العمر وما ينقصه

ثم لا بد لطالب العلم من القوت(١) ومعرفة ما يزيد فيه(٢) وما يزيد في العمر والصحة ليتفرغ طالب العلم لطلب العلم وفي كل ذلك صنفوا كتباً فأوردت هنا بعضها على سبيل الاختصار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر فإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه(٣) ثبت بهذا الحديث أن ارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق خصوصاً الكذب فإنه يورث الفقر وقد ورد فيه حديث خاصٌ وكذا نوم الصبحة(٤) يمنع الرزق وكثرة النوم تورث الفقر وفقد العلم أيضاً.

---

(١) أي مما يقوم به بدن الإنسان من الطعام لأن طلبه أي العلم أنما يكون بالبدن صحيح.

(٢) أي في القوت.

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث ثوبان مرفوعاً وهو حديث حسن بشواهده.

والمعنى أنه قد سبق في علم الله أن يكون الدعاء سبباً لدفع الأمر المقدر أو المراد برده تسهيله حتى يصير كأنه رد ومعنى لا يزيد في العمر يحتمل أنه قد سبق في علم الله أن البر يكون سبباً في زيادة عمره أو المراد بزيادته البركة فيه.

(٤) بضم الصاد وسكون الباء أي النوم وقت الصبح.

قال القائل شعراً:

سرور الناس في لبس الباس وجمع العلم في ترك النعاسِ

وقال بعضهم:

أليس من الخسران أن ليالياً تمر بلا نفع وتحسب من عمري(١)

وقال آخر:

قم الليل يا هذا لعلك ترشد إلى كم تنام الليل والعمر ينفذ

وقال آخر:

من نام دامت على الأيام حسرته والعز يهنأ من قد عاود السحر

---

(١) أليس الاستفهام للإنكار وإنكار الإنكار إقرار من الخسران أي من الهلاك تمر تمضي بلا نفع يعود على المرء في آخرته وتحسب بالبناء للمجهول أي الليالي من عمري أنا الغافل عن اغتنام الوقت في ما يقرب من رضوان الله عز وجل.

والنوم عرياناً(١) والبول عرياناً والأكل جنباً والأكل متكئاً على جنب والتهاون بسقاطة المائدة وحرق قشر البصل والثوم وكنس البيت بالمنديل وكنس البيت في الليل وترك القمامة في البيت والمشي قُدَّامَ المشايخ ونداء الأبوين باسمهما والخلال بكل خشبةٍ(٢) وغسل اليدين بالطين والتراب والجلوس على العتبة والاتكاء على أحد مصراعي الباب والتوضؤ في البراز(٣).

---

(١) مبتدأ وخبره كل ذلك يورث.
(٢) أي إخراج ما بين أسنانه بكل خشبة أي كيف ما اتفق.
(٣) موضع قضاء الحاجة.

وخياطة الثوب على بدنه وتجفيف الوجه بالثوب وترك بيت العنكبوت في البيت والتهاون بالصلاة وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر والابتكار بالذهاب إلى السوق والإبطاء في الرجوع منه وشراء كسيرات الخبز من الفقراء والسؤال ودعاء الشر على الولد وترك تخمير الأواني وإطفاء السراج بالنفس(١) كل ذلك يورث الفقر عرف ذلك بالآثار وكذا(٢)الكتابة بالقلم المعقود(٣) والامتشاط بمشطٍ منكسر وترك الدعاء بالخير للوالدين والتعمم قاعداً والتسرول قائماً والبخل والتقتير والإسراف والكسل والتواني والتهاون في الأمور الشرعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استنزلوا الرزق بالصدقة)(٤).

---

(١) بالنفخ.

(٢) أي مثل ما ذكر فيما يورث الفقر.

(٣) أي المنكسر.

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس والبيهقي في شعب الإيمان وابن عدي في الكامل وابن حبان في المجروحين وهو حديث ضعيف.

والبكور(١) مبارك يزيد في جميع النعم خصوصاً في الرزق وحسن الخط من مفاتيح الرزق وبسط الوجه(٢) وطيب الكلام يزيد في الحفظ والرزق وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما (كنس الفناء وغسل الإناء مجلبة الغنى(٣) وأقوى الأسباب الجالبة للرزق إقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع وتعديل الأركان(٤) وسائر واجباتها وسننها وآدابها وصلاة الضحى في ذلك معروفة مشهورة(٥) وقراءة سورة الواقعة خصوصاً في الليل وقت النوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة)(٦).

---

(١) أي القيام بكرة.

(٢) أي بشاشته.

(٣) أي سبب جلب الغنى.

(٤) الحرص على الطمأنينة إذ هي من واجبات الصلاة.

(٥) **عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال** (إن الله عز وجل يقول يا ابن آدم اكفني أول النهار بأربع ركعات أكفك بهنَّ آخر يومك) رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحدهما رجال الصحيح قاله المنذري رحمه الله.

(٦) أخرجه أبو يعلى كما في تفسير ابن كثير والبيهقي في شعب الإيمان وهو حديث ضعيف كما قاله الحافظ الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف.

وقراءة سورة تبارك والمزَّمِّل والليل إذا يغشى وألم نشرح لك وحضور المسجد قبل الأذان والمداومة على الطهارة وأداء سنة الفجر والوتر في البيت وألا يتكلم بكلام الدنيا بعد الوتر ولا بعد طلوع الفجر ولا يكثر مجالسة النساء(١) إلا عند الحاجة وألا يتكلم بكلام لغو غير مفيد لدينه ودنياه قيل من اشتغل بما لا يعنيه يفوته ما يعنيه(٢).

قال بزرجمهر إذا رأيت الرجل يكثر الكلام فاستيقن بجنونه وقال علي كرم الله وجهه إذا تم العقل نقص الكلام(٣).

---

(١) أي من الزوجات والمحارم.
(٢) **وفي الأربعين النووية قوله صلى الله عليه وسلم** :(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد وأخرجه ابن ماجه في الفتن ومالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق وحكم عليه الإمام النووي بأنه حديث حسن، وقال الزرقاني في شرح الموطأ إسناده حسن بل صحيح.
(٣) وأخرج الخطيب في الفقيه والمتفقه مثله عن عبد الله بن المعتز من قوله رحمه الله.

وقال رحمه الله واتفق لي في هذا المعنى شعراً:

إذا تم عقل المرء قلَّ كلامه وأيقن بحمق المرء إن كان مكثرا

وقال آخر:

النطق زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمتُ على سكوتي مرَّةً ولقد ندمتُ على الكلام مرارا

ومما يزيد في الرزق أن يقول كل يوم بعد انشقاق الفجر إلى وقت الصلاة (سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه) مائة مرة وأن يقول (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) كل يوم صباحاً ومساءً مائة مرةٍ وأن يقول بعد صلاة الفجر كل يوم (الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله) ثلاثاً وثلاثين مرة وبعد صلاة المغرب أيضاً ويستغفر الله سبعين مرة بعد صلاة الفجر ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويقول يوم الجمعة سبعين مرة (اللهم أغنني بحلالك عن حرامك واكفني بفضلك عن من سواك) ويقول هذا الثناء كل يوم وليلة (أنت الله العزيز الحكيم أنت الله الملك القدوس أنت الله الحليم الكريم أنت الله خالق الخير والشر أنت الله خالق الجنة والنار عالم الغيب والشهادة عالم السر وأخفى أنت الله الكبير المتعال أنت الله خالق كل شيء وإليه يعود كل شيء أنت الله ديان يوم الدين لم تزل ولا تزال أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن

له كفواً أحد أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أنت الله لا إله إلا نت الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر لا إله إلا أنت الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ومما يزيد في العمر البر وترك الأذى وتوقير الشيوخ وصلة الرحم(١)

---

(١) في الصحيحين عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه).

وأن يقول حين يصبح ويمسي كل يوم ثلاث مرات (سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش) وأن يحترز عن قطع الأشجار الرطبة إلا عند الضرورة وإسباغ الوضوء والصلاة بالتعظيم وقراءة القرآن بالتعظيم والقِرآن بين الحج والعمرة وحفظ الصحة ولا بد من أن يتعلم شيئاً من الطب ويتبرك بالآثار الواردة في الطب التي جمعها الشيخ الإمام أبو العباس المستغفري(١) رضي الله عنه في كتابه المسمى بطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجده من يطلبه.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد الأنام وبدر التمام وعلى آله وأصحابه الفخام

---

(١) هو الإمام الحافظ المُجود محدث ما وراء النهر: أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد المستغفر بن الفتح بن أويس النسفي مترجم في تذكرة الحافظ وسير أعلام النبلاء.